# الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

تأليف
علي مراشدة
شامان معابره




Amman 2002 The Arab Cultural Capital
عاصمة للثقافة العربية

سلسلة اصدارات جمعية اصدقاء المكتبة / اربد ٢

# الإستراتيجية العسكرية الإسلامية


تأليف

علي مراشدة و شامان معابرة

ماجستير إقتصاد

بكالوريوس لغة عربية





(الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة)

٢١٦و٩٥٢
علي علي محمد مراشده /شامان
صالح معابره

الإستيراتيجيه العسكرية الإسلامية
(١٢٦) ص
ر. أ .(٧٦٦/٨/ ١٩٩٥
١- الإسـلام - نظـم
٢- النظـام العسكري

رقـم الإيـداع لـدى دائرة المكتبـة الوطنيـة
١٩٩٥/٨/٧٦٦

الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م

# الفهرس

**الفصل الثالث :**

**الاهداء**

الى زوجتي . . . . رائدة

الى . . . . . . . . . والديّ

الى من عمل وجدّ الى أن خرج هذا العمل بهذه الصورة، الاستاذ علي المراشده

**المؤلف**

## مقدمة

ان علم الاستراتيجية قد اصبح من العلوم الحياتية المعاصرة بل اخذ يطغى على مجمل الميادين العلمية في الوقت الحاضر، واصبح الفكر الاستراتيجي يمثل اساس التخطيط في الدول المتقدمة، ليس في المجال العسكري فحسب بل وفي المجالات السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والنفسية. ولأن الفكر الاستراتيجي المبني على التخطيط السليم يمثل اقصر الطرق للوصول الى الهدف، فان الأمم كافة قد اخذت به واعتمدته اسلوبا راقيا للوصول الى غايتها.

والامة الاسلامية امة ذات حضارة، ورسالة انسانية راقية، ولذلك كان لا بد لها من اعتماد الاسس العلمية ووضع الخطط الصحيحة للوصول الى اهدافها على الرغم من عدم ظهور هذا المفهوم في كتابات المؤرخين والعلماء في صدر الاسلام. وقد تبع عدم وضوح مفهوم الاستراتيجية هذا اغفال متعمد من علماء الغرب لانجازات هذه الامة وقياداتها، لذا وجدنا انفسنا امام احدى المهام التي علينا انجازها خدمة لديننا وحضارة امتنا، فجاءت هذه المحاولة كباكورة كتاباتنا على هذا الطريق الذي نرجو ان تتبعه كتابات اخرى.

يقع هذا الكتاب في ثلاثة فصول اجتهدنا في ترتيبه ليبدوا متسلسلا بصورة منطقية لإعطاء القارئ فكرة معقولة عن موضوع الاستراتيجية الاسلامية.

حيث استعرضنا في الفصل الاول موضوع الاستراتيجية بصورة عامة وبينا انواع هذه الاستراتيجية ومستوياتها، وركزنا بحثنا في هذا الفصل على الاستراتيجية العسكرية كجزء من الاستراتيجية القومية، لانها الفكرة الاساس لخدمة الموضوع قيد البحث، كما قمنا ببيان اهم نظريات الاستراتيجية العسكرية وحاولنا القاء الضوء على النظرية القارية ونظرية ماوتسي تونغ، ثم انتقلنا لبيان اشكال هذه الاستراتيجية وطبيعة عملها.

اما الفصل الثاني فقد قمنا من خلاله بالتعريف بالاستراتيجية الاسلامية، طبيعتها، واهم مرتكزاتها، انتقلنا بعد ذلك الى تعريف الاستراتيجية العسكرية الاسلامية، وحاولنا قراءة خطوطها العريضة وبيان مدى ملامستها للمفاهيم الاستراتيجية المعاصرة، لاضفاء طابع المعاصرة عليها، وبينا اين تلتقي في مميزاتها مع الاستراتيجيات الحديثة.

اما الفصل الثالث فقد وضعناه تحت عنوان الاستراتيجية النموذج في محاولة منا لدراسة تطبيق عملي للمبادئ والافكار

الاستراتيجية في مطلع العصر الاسلامي والذي تبناه القائد الاسلامي الكبير خالد بن الوليد فركزنا على مبادئه العسكرية، وقمنا بمقارنة عملياته مع عمليات القادة العسكريين العظام في التاريخ، وبينا اين التقى معهم واين تفوق عليهم واين ماثلهم في عملياتهم العسكرية. ثم قمنا بوضع اهم مميزات استراتيجيته التي جعلت منه واحدا من ألمع القادة في التاريخ العسكري.

واخيرا نرجوا ان نكون قد وفقنا في محاولتنا هذه وقمنا بتقديم كتاب يحتوي على افكار مفيدة للباحثين والدارسين، خدمة منا لاغراض البحث العلمي والحقائق العلمية والواجب الوطني.

والله ولي التوفيق

المؤلفان

## **الفصل الأول : مدخل إلى الاستراتيجية – عام.**

أولا : الإستراتيجية القومية.

ثانيا : الإستراتيجية العسكرية.

ثالثا : النظريات السائدة في الإستراتيجية العسكرية.

رابعا : أشكال الإستراتيجية العسكرية.

## مقدمة:

- يشكل التصور الإستراتيجي بالنسبة لمختلف الاعمال الحياتية اهمية كبيرة تتصل بقدرة هذه الاعمال على تأدية مهامها وتحقيق اهدافها. ويعكس التصور الاستراتيجي السليم امكانية عالية على تحقيق الاهداف، فالنظرة العلمية لقضايا التفكير الإستراتيجي تجعل من المسار القيادي في مواقعه المطلوبة من الاحداث وفي المجالات التي يستطيع من خلالها التأثير على قيادة الواقع وفهم تناقضاته، كما ان ذلك يضمن الافق الرحب لفعل المبادرة الواعية والتسلح بالوضوح الكافي.

ان تحديد الهدف والقوى والوسائل الموصلة اليه لا يمكن ان يتم بشكل عشوائي وعلى اساس الحساب المجرد، الذي لا يلم بكافة الظروف والاوضاع المحيطة ويحسن موازنة الامور وحسابها بشكل دقيق وعزيمة دائمة، وانما من خلال الوعي الدقيق لكافة الامور المتصلة بذلك. وهذه النظرة لا بد وان ترتكز على التفكير الإستراتيجي الكفيل بان يرسم الهدف المحدد بشكل واضح ويحدد وسائل التحرك المؤدية اليه. وبناء عليه فان القيادات المختلفة تجد في التصور الإستراتيجي ما يمكنها من ادراك القوى المؤثرة الاساسية والاحتياطية والالمام الموضوعي بالواقع او تفهم حاجاته الآنية والبعيدة واستيعاب المتغيرات فيه.

ان مرونة التفكير الإستراتيجي تمثل قضية جوهرية في طبيعة هذا التفكير، لانها تسقط من الاذهان مسألة فرض نمط واحد من الصيغ والمواقف التي لا يمكن اعتماد غيرها والتي تعكس نقصا في الوعي الإستراتيجي، فالطريق الواحد للاستخدام هي تعبير عن الصنمية وتجسيد

لضحالة الحسابات في مختلف الميادين العملية، ومؤشراً على القسر المبدئي للامور. وبناء عليه فان استخدام كل الطرق والوسائل للوصول الى الاهداف يتيح مرونة معقولة قادرة على تهيئة الظروف المناسبة للوصول الى الهدف، لان المحصلة النهائية لواقع أي صراع متأثرة بالاستراتيجية المرسومة والإستراتيجية المقابلة، بالارادة والارادة المضادة، وبالتأكيد فان اتساع فعل الارادات، وتعبير الاستراتيجيات عن قوى عديدة وتحالفات كثيرة، يفرض لادارة الصراع الكفاءة والاقتدار والقدرة العالية على التعاطي مع المشكلات والظروف والمستجدات في الواقع، وهو ما يجعل من الطريق الواحد في الاستخدام طريقا لا يفضي الى النتائج المرجوة.

## اولا: الاستراتيجية القومية

لقد ربط كبار القادة والمفكرين، في الماضي، الإستراتيجية بموضوع القوة العسكرية فقط، وكان هذا الربط من وجهة نظر واقعية ربطا ناقصا من حيث المبدأ، وذلك لتعلق هذا المفهوم في وقتنا الحاضر بجملة الاهداف والمصالح القومية للدول، والتي يمكن تحقيقها نتيجة لاعمال عسكرية او سياسية او اقتصادية.

وبداية لا بد من الاعتراف – ونحن ندرس مفهوم الإستراتيجية –بالمصاعب التي تواجه كل من يحاول دراسة وتحليل هذا المفهوم، اذ ليس بمقدور من لا يملك ذهنا صافيا او عقلا مرتبا ان يحاول الاقتراب منها لاتساعها وشموليتها، خاصة بعد ان باتت تنطوي ضمنها كل مجالات النشاط الانساني.

لقد تعرض الكثير من المفكرين الى هذا المفهوم، وهناك من كتب فيه واحسن الكتابة كميكافيلي، وكلاوزفيتز، وماهان، وكوربيث، ودوهيه، وماوتسي تونغ، وليدل هارت، اضافة الى اندريه بوفر، وفولر، وهتلر، وغيرهم ممن اسهم بصورة فاعلة في اغناء الفكر بمقدار او بآخر. وقد اجتهدوا جميعا في تعريف وتحديد الاطار الامثل لهذا المفهوم، ولذلك كان هناك اجتهادات كثيرة ومختلفة، وتم التفريق بين مستويات متعددة للاستراتيجية، وقالوا بالإستراتيجية القومية او العليا، وقالوا بالاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية حتى غطوا معظم مجالات الحياة المعاصرة، ووضعوا لها اطرا واسسا عامة وخاصة، وبينوا الفوارق فيما بينها.

ويعتقد الكثيرون من خبراء الحرب و الإستراتيجية، ان القصد الوطني هو اساس الإستراتيجية القومية، والذي يتميز بكونه سياسيا في طبيعته، حيث يشكل الاساس الحقيقي للاستراتيجية القومية لاي دولة. ومن هنا فإن معرفة القصد الوطني، او الغاية القومية يمثل ضرورة اساسية لمستويات القيادة العامة، والمرشد الاساس للمهتمين من اصحاب القرار عند وضع استراتيجيتهم القومية. ويأتي في سياق القصد الوطني الاهداف الوطنية التي تمثل ترجمة حقيقية له. وهناك الكثير من الباحثين يعتقدون ان الاهداف القومية يمكن ان تشمل القصد الوطني وانه لا خلاف بينهما، الا ان ما يجب التأكيد عليه ان مصالح الامة وغاياتها هي القاعدة الاساس التي تنطلق منها استراتيجيتها القومية.

وتمثل السياسات الوطنية المستخدمة من قبل دولة ما، بمثابة الاعمال الممكنة التي تتبناها الدولة في سعيها لتحقيق اهدافها، وفي الغالب تكون هذه السياسات بطريقة مباشرة او غير مباشرة متطابقة مع القصد الوطني او الغاية القومية، وتكون مدعومة بخطط وبرامج متعددة لتساعد على تخصيص الموارد، ورسم الخطوات، والاطر الاساسية للاستراتيجيات الفرعية التابعة لها والتي تعمل جميعها لتحقيق الاهداف المرجوة،وهذه الاستراتيجيات هي:

١- الاستراتيجية العسكرية.
٢- الاستراتيجية السياسية.
٣- الاستراتيجية الاقتصادية.
٤- الاستراتيجية النفسية.

وعند التفكير بوضع أي من هذه الاستراتيجيات موضع التنفيذ، علينا ان نتأكد بانها تسير بصورة متوازية تجاه الاهداف القومية التي تسعى الاستراتيجية العليا لتحقيقها.

ولا بد لنا من التأكيد على ان بلورة أي استراتيجية، يعني الاستخدام الامثل والمتوازن لكل موارد الامة، وبناء عليه فانه يقع على عاتق القيادة السياسية للدولة ان تدرك هذه الحقيقة وتعمل بمقتضاها، وهذا يستدعي اخضاع جميع النشاطات، السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية لتحقيق اهداف الامة. وانه بقدر ما تكون الاهداف المختارة منطقية ومتلائمة مع قدرات الدولة، بقدر ما تكون هذه الاهداف قابلة للتحقيق. كما ان تحديد الاهداف بوضوح معقول يعطي لمتخذ القرار القدرة على تقييم الاخطار المحتملة التي قد تعترض سبيل تحقيقها. كما يسهل على القيادة السياسية القيام بوضع سلسلة من الاستراتيجيات الفرعية التي تهدف كل منها الى تحقيق الاهداف المحددة لها، مما يجعل هذه القيادة قادرة على تحديد مستويات القوة العسكرية اللازمة، والموارد الاقتصادية المطلوبة لتنفيذ استراتيجية معينة. ومن خلال ذلك يتبين بان شكل الاستراتيجية القومية التي تتبناها القيادة السياسية للدولة ينطوي ضمنا على ترجمة واضحة للعلاقة بين تطلعات هذه القيادة، وواقع القدرات الحقيقية للدولة.

وانه نتيجة لكل ذلك تصبح كفاية التوجه السياسي في مجال رسم الخطط لمؤسسات الدولة المختلفة، ومن ضمنها المؤسسة العسكرية، على درجة عالية من الاهمية. حيث يقع على عاتق القيادة السياسية ضرورة

تحقيق التوازن بين الاهداف المطلوبة وقدرات الدولة الفعلية،لأن الاهداف الطموحة تكون بحاجة الى امكانيات كبيرة لتحقيقها، وان التاريخ يزخر بالكثير من الامثلة لدول تعرضت للمصائب اثناء سعيها لتحقيق اهداف سياسية تفوق قدرتها الفعلية، فقد خسرت المانيا حربين عالمتيين نتيجة لهذا الخطأ، وقد سبق نابليون المانيا فضحى بجيشه ومن ثم بامبراطوريته عندما حاول عام (١٨١٢) ارغام القيصر الروسي على مشاركته في فرض حصار بحري على بريطانيا. من هنا يتضح ان كفاية القيادة السياسية تعتبرعلى درجة عالية من الاهمية لادارة الدولة وتوجيهها وما يحقق اهدافها القومية. فكلما كانت هذه القيادة حكيمة وتتصف بعقلانية توجهاتها، كلما كانت اقرب الى تحقيق اهدافها والسير بالامة الى شاطئ الامان.

بعد هذا الشرح الموجز للاستراتيجية القومية، لا بد لنا من إلقاء الضوء على بعض تعريفات هذه الاستراتيجية، فكلية الحرب الصينية قد عرفتها: "بانها فن تطوير واستخدام القوة واستثمار موقف ملائم بحيث انه عند متابعة الهدف القومي، او هدف الحملة، أو هدف الحلفاء، أو خوض المعركة الحاسمة، فان احتمالات النجاح، ونتائجها المفضلة تزداد بدرجة كبيرة". وهناك من عرفها: "بأنها فن وعلم تطوير واستخدام مجموع القوة القومية لخلق واستثمار موقف ملائم بحيث انه عند متابعة الهدف القومي فان احتمالات النجاح ونتائجها المفضلة تزداد بدرجة كبيرة".

اما القاموس العسكري الامريكي فقد عرفها: "بأنها فن وعلم وتطوير واستخدام القوى السياسية والاقتصادية والنفسيّة والعسكرية للامة

خلال الحرب والسلم لاعطاء اقصى دعم للسياسات القومية وذلك لزيادة احتمالات النصر ونتائجها ولتقليل فرص الهزيمة" [١] .

ويضيف اللواء حسن مطاوع تعريفا آخر للاستراتيجية القومية فيقول: " هي الاستغلال الكامل للقوى السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية للدولة في السلم والحرب لتحقيق الاهداف التي تضمن سلامتها وامنها"[٢].

اما الكاتب المعروف امين هويدي فقد عرف الاستراتيجية القومية: "بانها فن السيطرة على استخدام موارد الدولة او مجموعة الدول بما في ذلك القوات المسلحة بغرض تحقيق مصالحها، او الحفاظ عليها من أي عدوان واقع او محتمل"[٣].

اما الجنرال ثيودور.ر. ميلتون فقد عرف هذه الإستراتيجية بقوله: "بانها عبارة عن مجمل خطط الدفاع المتعلقة بدولة او بائتلاف عدة دول والاستعمال المنسق لكل مصادر الامة من اجل تحقيق اهدافها القومية". ويشرح الدكتور محمد الهيثمي في كتابه الموسوم (في الإستراتيجية الاسرائيلية) الإستراتيجية القومية فيقول: " تقع الإستراتيجية الشاملة في قمة الإستراتيجيات وتخضع مباشرة لادارة الحكومة وعلى هذه الإستراتيجية فهم وتحديد سير الحرب الشاملة، ويتلخص دورها في تحديد المهمة الخاصة بمختلف الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية

---

(١) نشرة الاستراتيجية – كلية القيادة والاركان الاردنية.
(٢) د. عمر توقة، حسين، ابعاد استراتيجية، ص١٥.
(٣) هويدي، امين، في السياسة والامن، ( معهد الانماء العربي، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٦ ).

وتأمين توافقها. وتعتبر هذه الإستراتيجية من عمل رؤساء الحكومات المتعاونين مع رؤساء اركان الدفاع الوطني والمستشارين او مجلس الدفاع الاعلى"[1].

من مجمل هذه الآراء نستنتج بان مفهوم الإستراتيجية القومية يمثل اطارا شاملا ينطوي ضمنا على الإستراتيجيات الفرعية والتي تمثل المرتكزات الاساسية لهذه الإستراتيجية التي تكون مهمتها تنيسق عمل، وتوافق كل استراتيجية فرعية مع غيرها من جهة، ومع الهدف القومي من جهة اخرى.

انه اذا كان التكتيك هو تطبيق للاستراتيجية العسكرية على مستوى ادنى، فان الإستراتيجية العسكرية على سبيل المثال، هي تطبيق للاستراتيجية القومية على مستوى ادنى. وما الإستراتيجية العليا سوى السياسة التي تقود سير الحرب، حيث يستخدم تعبير الإستراتيجية العليا لشرح فكرة "السياسة خلال التنفيذ"، وايضاح ان دورها الحقيقي هو توجيه وتنسيق كل امكانيات البلاد او اعضاء الحلف بغية الحصول على الهدف السياسي للحرب.

ان على الإستراتيجية القومية ان تقدر وتضاعف الامكانيات الاقتصادية، والقدرة البشرية، ودعم القوة المعنوية بقصد تعزيز الوحدات المقاتلة، لان اهمية تقوية الارادة عند الافراد تعادل في اهميتها اهمية القدرة المادية.

---

(١) د.الهيثمي، محمد فاروق، في الاستراتيجية الاسرائيلية، ( منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٠ ).

## ثانيا: الإستراتيجية العسكرية

ان على كل امة لكي تتأكد من امنها وتحقيق اهدافهـا الوطنيـة ان تتبنى المفهوم الاساسي (الاستعداد الدائم لحرب ما) بحيث تكون قادرة على مواجهة انواع الحرب المختلفة في أي مكان وزمان. وهو ما يمثل اعداد القوة اللازمة وقت السلم لتكـون قـادرة علـى الدفـاع عـن كيـان الامـة عنـد الحاجة، وهذا ما يدفعنا الى القول ان حالـة السـلم التـي تعيشـها الامـم هـي احدى حالات الحرب الكامنـة، والتـي قد تتحـول فـي أي لحظـة الـى حالـة حرب فعلية.

ولذلك فان ما تتطلبه الإستراتيجية العسكرية هو التحضير لتوفـير جميع الاشياء الضروريـة لشـن الحـرب، كـي تجعـل القـوات المسـلحة فـي الموقـف المناسـب لكسـب هـذه الحـرب واحـراز النصـر حيـث تمثـل حالـة الحرب الاستخدام الفعلي لكـل عنـاصر القـوة التـي تـم اعدادهـا وتوفيرهـا، لذلك فان وجود القوة لدولة مـا لـه تـأثيره المباشـر، وغـير المباشـر بغـض النظر عن مستوى الاسـتخدام الفعلـي لعنـاصر تلـك القـوة، فهـذه القـوة لهـا دورها في تشكيل السياسات وتحديد طبيعة العلاقات الدولية.

ان الإستراتيجية العسكرية مصممة لتقدير وتخطيط كيف تسـتطيع ان تبنـي القـوات المسـلحة وتسـتخدمها بفاعليـة لتحقيـق بعـض اهـداف الإستراتيجية القومية، لانه من المعروف علـى نطـاق واسـع ان الاحسـاس بالقوة لدى الامم موجود دائما بغض النظر عن مسـتوى الاسـتخدام الفعلـي لهذه القوة في العلاقات الدولية. وبنـاء عليـه يمكننـا التمييز بيـن مسـتويات متعددة لاستخدام القوة هي: التـأثير، والضغـط، والاسـتخدام الفعلـي، فمثـلا

امتلاك دولة لاسلحة الدمار الشامل، وحشد من الجيوش الجوية والبرية والبحرية وبالرغم من عدم استخدامها الفعلي الا ان دورها الحاسم في تشكيل السياسات والعلاقات للدولة المعنية لا يمكن تجاهله، وهذا ما يسمى بتأثير القوة. اما عندما تتجاوز قوة الامة مرحلة التأثير ولا تصل الى مرحلة الاستخدام للدرجة النهائية من القوة المكشوفة او القوة المسلحة فان ذلك ما يسمى بضغط القوة ويمكن ترجمته بالتلميح المبطن والتهديد، وتمتد لتصل قريبا من استخدام القوة المسلحة، اما الاستخدام المكشوف فهو عبارة عن الاستخدام الفعلي للقوات المسلحة في الحرب.

ان الإستراتيجية العسكرية تعنى بدراسة كيف تقوم الحرب. وتدعم الإستراتيجية القومية وتكسب النصر لذا وبناء على ما سبق ذكره فان على المفكر العسكري بشكل عام مسؤوليتان هما:

١- بناء القوات المسلحة.

٢- استخدام القوات المسلحة في العمليات العسكرية.

ويتم ذلك من خلال وضع الخطط القصيرة والمتوسطة والطويلة المدى لتحقيق هذين الغرضين.

اما عن تعريف هذه الإستراتيجية، فانه على الرغم من الاختلاف الحاصل بين المفكرين في هذا المجال الا انهم اتفقوا جميعا على اطارها ومفهومها العام في تعريفهم لها، فقد عرف المارشال فوش الإستراتيجية العسكرية: "بانها اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض ارادتين. انها الفن الذي يسمح باستخدام التقنية باقصى فاعلية ممكنة، انها اذا فن حوار القوى او بالاحرى فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها". اما

(ليدل هارت) فيعرف هذه الإستراتيجية على انها: "فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق اهداف السياسة"[1].

ويعرف اندريه بوفر الإستراتيجية العسكرية بقوله: " انها عبارة عن فن استخدام القوة للوصول الى اهداف السياسة ". وفي كتابه (السَوق الاكبر) يعرف جون. ام. كولينز الإستراتيجية العسكرية: "بانها فن علم استخدام القوة العسكرية في مختلف الظروف لبلوغ اهداف الامن القومي، وذلك باستخدام القوة، اوالتهديد باستخدامها".

من خلال ما سبق يتبين ان الاختلاف بين وجهات النظر اعلاه لا يوحي باي اختلاف في الجوهر او الاطار العام لمفهوم الإستراتيجية العسكرية ولكن الاختلاف واضح في شمولية النظرة فقط، وفي هذا السياق فاننا نميل الى الاخذ بتعريف الخبير الامريكي جون.ام. كولينز. وذلك لشمولية هذا التعريف، وتحديده المتقن لمفهوم القوة. فقد بين كولينز ان صانع القرار لديه خياران في عقيدته العسكرية هما:

١- استخدام القوة عمليا لتحقيق الهدف.

٢- التهديد باستخدام القوة لتحقيق الهدف.

وكلا الخيارين يستوجب حشد القوة لاعطاء المصداقية المطلوبة للخطاب السياسي كي يفعل فعله.

---

(١) عزمي، محمود، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧٩)

## ثالثا: النظريات السائدة في الإستراتيجية العسكرية

تشيع الآن ثلاث نظريات رئيسية ومعترف بها عموما في استراتيجية الحرب، فضلا عن نظرية رابعة ظهرت حديثا، وهذه النظريات هي:

١. النظرية القارية

٢. النظرية البحرية

٣. النظرية الجوية.

٤. نظرية ماوتسي تونغ في حرب التحرير الشعبية.

وسوف نركز في هذا المجال على النظرية القارية كونها النظرية التي تعنينا وتخدم البحث موضوع الدراسة، كما سنتناول بايجاز نظرية ماوتسي تونغ لما حققته من نجاح على ارض الواقع، ولانها تطوير بشكل من الاشكال للنظرية القارية باساليب جديدة.

من المعروف ان الارض بمعناها الشمولي والذي ينطوي على المساحة والثروات والطبيعة الجغرافية هي الميدان الثابت الذي يعمل فيه الجيش، كما انها تشكل الابعاد والتحديدات التي يتحرك ضمنها، وهي الخصم الذي يجب مواجهته دائما وابدا، كما انها الميدان الذي يتوجب على الفكر العسكري بناء خططه في اطاره. ومن حقيقة كون الارض هي العنصر الحاسم المقيد ظهر مفهوم المسرح في الإستراتيجية العسكرية.

ان فكرة المسرح في المفهوم الاستراتيجي تمثل مظهرا او علامة للتحديدات الطبيعية التي تفرضها الارض، فالارض موجودة بالنسبة للجيوش دائما، سواء كانت مهاجمة او مدافعة، ومن هذا المنطلق اعتبرت

الارض العامل الاول والاهم الذي يؤثر تاثيرا مباشرا على النمط الفكري الاستراتيجي للقيادة العسكرية المعنية، اما العامل الثاني الذي له اثر على هذا التفكير فهو طبيعة القتال الذي يخوضه العسكريون وبالتالي طبيعة مفهومهم للاستراتيجية. ولذلك نجد الترابط العضوي بين عنصر الارض والكفاية العسكرية، هذا الترابط الذي لا يمكن له ان ينفصل في العمليات العسكرية البرية.

لقد فهم هتلر كاستراتيجي بارع طبيعة هذه العلاقة فقال: " ان سعة المجال الحيوي للشعب تتضمن العامل اللازم لامنه الخارجي، وكلما اتسع مجال المنطقة التي تتوافر للشعب ازدادت الوقاية الطبيعية له. ولقد كان من الممكن دائما في سرعة ويسر تحقيق الانتصار العسكري على الامم التي يزدحم سكانها في مناطق صغيرة على خلاف الحال بالنسبة للدول الكبيرة المساحة، ولهذا فان سعة ارض الدولة تعطيها وقاية ضد هجمات العدو، ولا يمكن ان يتحقق النجاح لمن يقوم بغزو دولة واسعة المساحة الا بعد قتال طويل عنيف، وتكون المغامرة بالهجوم المفاجئ عظيمة الخطر الا في ظروف غير عادية....... ان السياسة الخارجية لدولة تقوم على سواعد شعب معين، يتوقف وجودها على وجود هذا الشعب الذي تحتضنه هذه الدولة وعلى كامل كيانه في الكتلة الارضية..... والمساحة الواسعة الكافية هي وحدها التي تضمن حرية الامة ووجودها..... ولمساحة الدولة اهمية عسكرية سياسية" (١)

---

(١) ميدايرل، ادوارد، رواد الاستراتيجية الحديثة، (ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة اشبيليا، الطبعة الثامنة، بغداد ١٩٨٥، ص٩١-٩٤)

فاذا كانت هذه هي نظرة هتلر الى الارض، فقد نظر اليها (ماهان) وكثيرون غيره من وجهة نظر اخرى وقالوا ان من المناسب التمييز بين الوسائل التكتيكية والإستراتيجية من خلال عنصر الارض، استنادا الى الحقيقة البسيطة المتمثلة في (التماس)، اذ وبعد تحقيق التماس بين المتحاربين تصبح الخطط والعمليات العسكرية كافة (تعبوية) في حين يعتبر كل ما هو خارج حدود التماس استراتيجية. كما يبدو ان هناك بديهية لا اعتراض عليها في الجيش وهي ان ما يواجهه الضابط الاقدم في الجيش في حرب متعددة الساحات (جبهات) من معضلات انما هي معضلات استراتيجية، اما تلك التي تواجه من هم ادنى منه رتبة فتتحول الى معضلات تعبوية. [1]

اذاً فإن قائد الجبهة يصبح هنا الفيصل الذي تتحول من خلاله التوجهات الإستراتيجية الى اوامر تعبوية، وهذا هو ما يمثل تأثير عنصر الارض على مستوى التفكير العسكري.

ومن حقيقة الارض واهميتها، وحقيقة التماس كأمر جوهري في الحرب البرية فانه يمكن استنباط العامل الحاسم الثالث في نمط التفكير الإستراتيجي، والمتمثل في الهدف النهائي لجميع العمليات العسكرية، وهو تدمير قوات العدو المسلحة والقضاء على رغبته في مواصلة القتال. وتتكرر هذه المقولة عند كلاوتزفيتز ومعظم من جاءوا بعده، فقد اوضح كلاوتزفيتز ان دراسته للحرب تقوده الى القناعات التالية:-

---

(1) جي.سي.وايلي.الاستراتيجية العسكرية،السوق العسكري،(ترجمة سليم شاكر الامامي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الاولى، بغداد ١٩٨٧ ص٧١-٧٣).

- ان تدمير القوة العسكرية للعدو هي المبدأ الرئيسي للحرب.
- لا يتحقق هذا التدمير مبدئيا الا بوسائل الاشتباك أي (المعارك).
- ان الاشتباكات الكبيرة والعامة هي وحدها التي من شأنها ان تحقق نتائج كبيرة وحاسمة.
- ستكون النتائج المتحققة اكبر كلما توحدت الاشتباكات في معركة كبرى واحدة.
- في المعركة الكبرى فقط يتولى القائد العام، القيادة بنفسه شخصيا.

ومن ذلك نصل الى القانون المركب التالي والذي تدعم اجزاؤه بعضها بعضا، ومضمونه هو اننا يجب ان نسعى الى تدمير القوة العسكرية للعدو بالدرجة الاولى في المعارك الكبرى، وان الهدف الرئيسي لهذه المعارك يجب ان يتمثل في تدمير قوة العدو العسكرية واعتباره الهدف الوحيد المعقول للحرب.

ويضيف كلاوتز فيتز ان المعركة هي هدف الإستراتيجية الاوحد، وهذا يتضمن ان على الإستراتيجية اعداد الظروف الملائمة للقيام بهذه المعركة لتكون الخسائر اقل والنتائج افضل. لانه اذا كانت الظروف ملائمة اصبحت الوسائل العسكرية اسرع السبل للوصول الى النتائج المرجوة.

ولكن يا ترى هل نظرية كلاوتز فيتز القائلة ان الهدف النهائي للعمليات يجب ان يكون تدمير جيش العدو هي نظرية صحيحة حقا ومشروعة دائما؟ وفي الاجابة على ذلك لنا ان نتذكر ان الجيش الياباني

خرج من الحرب العالمية سليما ولم يتم تدمير القسم الاعظم منه، كما ان هزيمة الجيش الفرنسي في معركة (ديان بيان فو) على ايدي القوات الفيتنامية لم يشمل الا تدمير جزءا صغيرا من هذا الجيش، ومع ذلك فقد حقق الشيوعيون نصرا كاملا في ذلك الوقت، لان الشعب الفرنسي الذي هزته الصدمة رفض ان يزج به في اوحال هزيمة عسكرية لاسباب سياسية. وبناء على هذه الامثلة تصبح نظرية كلاوتز فيتز وخصوصا في جانب وسائل تحقيق الهدف بحاجة الى اعادة نظر، وهو ما سوف نراه لاحقا.

لقد ظلت نظرية كلاوتز فيتز تطغى على معظم افكار العسكريين الذين جاءوا من بعده باستثناء نفر قليل جاءوا وخالفوه في الكثير من جوانب نظريته، امثال هتلر وليدل هارت. وهنا يجب ان نلاحظ بانه لا يمكن تفسير الانتصارات الالمانية الرائعة بانها ترجع فقط الى استخدام الامكانيات الحديثة والتكتيك والاستراتيجية الجديدين. ولكن كان لآراء هتلر و فلسفته العسكرية دورا هاما في ذلك، فقد كان من رأي هتلر ان فن الحرب يتطلب استخدام الهجوم غير المباشر على مستوى واسع. وقد اخذ في هذا المجال درسا من الثورة البلشفية واستفاد من اساليب الحرب الالية التي وضع الانجليز اسسها، وكانت طريقته في الحرب صورة لما فعله المغول بقيادة جنكيز خان.

ولم يكن هتلر يقر الانقضاض بل يعتمد في فنه العسكري على تحطيم المعنويات وتفتيت التنظيم ويستخدم الهجوم الجبهوي لمجرد الخداع والتمويه ويعطي الدور الاساسي للهجوم على المؤخرات. لقد كان يحاول

تدمير العدو بالكلام اكثر من السلاح، والدعاية اكثر من القذائف، وكان يسعى دائما لشل ارادة الخصم بدلا من قتله. ويتساءل الكثيرون هل نجح هتلر بتحطيم معنويات ومقاومة الخصم بهذه الامور فقط ام انه استعان بالتفوق الساحق لجيوشه الحديثة التي تستخدم اساليب هجومية جديدة ؟ وهل كان التفوق العسكري الالماني كافيا لدفع فرنسا الى الانهيار؟ والجواب على ذلك ان القوة تستطيع ان تسيطر على قوة اخرى اذا تفوقت عليها في مجال القيمة النوعية او الجرأة. ولكنها تبقى عاجزة عن التغلب على الافكار لانها غير ملموسة ومتغلغلة بعمق في النفس البشرية. (١)

اما ليدل هارت فان المفهوم الذي طرحه في التقرب غير المباشر هو المفهوم الوحيد المعروض حاليا والذي يمكن التسليم باقترابه من متطلبات النظرية العامة، ورغم انه يبدو وكأنه أحد اشكال النظرية القارية الا انه اوسع من ذلك بكثير وقابل للتطبيق في ميادين الحياة الاخرى غير العسكرية كالاقتصاد والسياسة، كما يمكن تطبيقه على النظرية البحرية والجوية.

ان احد اهم منطلقات ليدل هارت هي ان على الاستراتيجي ان يفعل ما في وسعه من اجل ان يجعل العدو يفقد توازنه وقوته، وبقدر درجة فقدان التوازن يقترب الاستراتيجي من تحقيق غايته.ان الخطوة الاساسية للنظرية العامة هي صفحة التخطيط الاستراتيجي كاداة تفسيرية تختارها القيادة العليا من اجل بناء الاستراتيجية، وتتولى في هذه المرحلة

---

(١) ج. ل. ليدل هارت، الاستراتيجية وتارخها في العالم، (ترجمة الهيثم الايوبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، بيروت ص٢٠٥-٢٠٧).

عملية تحديد جانبي الاستراتيجية المفاهيمي والعملياتي، ومن ثم الربط بينهما، وبعبارة اخرى صياغة خطط الحرب والتي هي في النهاية حلقة الوصل ما بين الهدف ومنظومة الوسائل، أي ما بين الفكر والعمل الواقع. والغاية الكبرى للحرب هي تحقيق درجة من السيطرة على العدو بعد ان يفقد توازنه، واضعين نصب اعيننا حقيقة لامفر منها، وهي ان نمط الحرب ليس مما يمكن التبؤ به بسهولة، وان علينا تبعا لذلك التحسب لمواجهة اكبر عدد ممكن من الاحتمالات وتهيئة مجموعة من الاستراتيجيات التي تلائم مختلف المواقف المحتملة او المتوقعة.

فالحرب منازلة بين طرفين او اكثر يسعى فيها البادئ او المعتدي لفرض درجة من السيطرة على عدوه، ولو لم يكن قادرا على ذلك فما كان ليبدأ الحرب اساسا. اما الطرف الاخر او المدافع فيحاول منع العدو من تحقيق ذلك والعمل على تهدئة الموقف او تجميده، والا خسر الحرب نهائيا، اما اذا نجح في تحقيق درجة التوازن المطلوبة فيستطيع عندها ان يفرض نمطه على الحرب فيما يعرف (بأخذ المبادرة) ولعل هذا هو ما عناه المارشال (فوش) بصراع الارادات. وهنا ايضا تظهر براعة الاستراتيجي. لذا فان أية نظرة استراتيجية او نظرية عامة في الحرب لا بد لها وأن تكون تطويرا للمقولة الاساس في: "ان هدف الاستراتيجي في ادارة الحرب هو تحقيق درجة من السيطرة، وهذا لا يمكن ان يتحقق الا من خلال التحكم بنمط الحرب".

فالنظرية القارية التي عرضها كلاوتزفيتز قد اوجدت وضمن نمطها الخاص الفرضية التي تقول: ان الجيوش يجب ان تلتقي وان احدها

يجب دحره في معركة، كما تتضمن هذه النظرية في اساسها على فرضية ضمنية اخرى مفادها ان الحرب البحرية او الجوية لا يجوز ان تكون عوامل حاسمة الى الحد الذي يفرض ان تكيف احتياجات المعركة البرية وفقا لها.

وهكذا فان الاسس التي تقوم عليها الخطوط العريضة للنظرية القارية في الحرب من وجهة نظر كلاوتزفيتز تبرز لنا ثلاث فرضيات هي:

١. **الفرضية الاولى:** وهي ان الحرب قد تقع بغض النظر عن أية جهود او مساع قد تبذل لمنع وقوعها. وفي هذا شيء ولو قليل مما يدعى بالحتمية التاريخية.

٢. **الفرضية الثانية:** وهي ان غاية الحرب هي تحقيق درجة من السيطرة على العدو. الا ان هذا لا يمثل سوى بيانا عاما اعد بشكل مقصود، كما ان متطلبات نوع السيطرة على العدو ودرجة شدتها، وزمانها، ونطاقها لا يمكن اقراره الا بعد ان يواجه الاستراتيجي موقفا معينا، وبعد ان يتطور هذا الموقف الى درجة يصبح معها اتخاذ القرار ممكنا. ومع ذلك فان هدف الحرب موضوع يصعب تحديده فالتاريخ يحدثنا بان الحروب نشبت لغايات واهداف لاعد لها ولاحصر. وفكرة ان الحرب هي استمرار للسياسة هل هي فكرة جيدة حقا ؟ وهل السياسة ستستمر على ما كانت عليه بعد اندلاع الحرب ؟ هذه تساؤلات قد لا تجيب عليها النظرية القارية بناء على رأي كلاوتزفيتز.

٣. **الفرضية الثالثة:** عدم القدرة على التوقع المسبق بنمط وزمان ومكان وطبيعة الحرب، هذا التوقع المبني على قدر معقول من الدقة، وهذا ما يقودنا الى استنتاج اساسي مفاده ان التخطيط العسكري ايام السلم يجب ان لايقتصر على اعداد خطة واحدة ثابتة للحرب، بل مجموعة او سلسلة من الخطط وباوسع نطاق ممكن. ان المطلوب هو التوصل الى العديد من المفاهيم الاستراتيجية التي من شأنها ان تؤمن لنا دائما، أي قبل وخلال الحرب، ليس فقط استراتيجية قابلة للتطبيق في موقف معين يفترض حدوثه في المستقبل، ولكن ان يؤمن معينا من الاستراتيجيات الجاهزة للاستخدام مجرد حدوث اي تبديل في المواقف. [1]

ان النظرية القارية التي وضع اسسها كلاوتزفيتز على قدر ما فيها من صحة الا ان هناك ما يجب الوقوف عنده، وقد حاول الكثير من المفكرين عمل ذلك. فالحرب بالنسبة للامة غير المعتدية يمثل انهياراً كاملا للسياسة، فحال اندلاع الحرب تفقد جميع سياسات ما قبل الحرب مشروعيتها ومصداقيتها تماما، لان الاوضاع والظروف التي وضعت وصممت تلك السياسات للعمل بموجبها لم تعد تلائم الحقائق القائمة. اذ ستنتقل الدولة وحال اندلاع الحرب الى عالم جديد مختلف جذريا. ولو نظرنا الى الحروب السابقة فسنرى ان عالم ما بعد الحرب يختلف تماما عما كان عليه قبلها، وليس هناك الا القليل من الاوضاع التي حافظت على طبيعتها السابقة، وكلما كانت الحرب اكثر شمولية كلما اصبح هذا التأكيد اكثر صحة.

---

(١) جي، سي، وايلي، مرجع سابق، صفحة ١٠٢- ١٠٨.

وقد لا نجازف عند التعميم بالقول ان الحرب من وجهة نظر الطرف المعتدي الذي يبدأ الحرب لتحقيق هدف معين قد يكون فيها قدر كبير من الاستمرارية ما بين سياستي ما قبل الحرب وما بعدها، اما بالنسبة للطرف الذي يقع عليه الهجوم فان الحرب تمثل في معظم الحالات انهيارا وفشلا كاملا للسياسة.

ان هدف الجيوش في الحرب هو تدمير جيش العدو على رأي كلاوتزفيتز وفي الوقت الذي ينطوي فيه هذا التحديد على الكثير من الحقيقة، الا انه لا يمثل الحقيقة الكاملة، وقد ادى القبول المطلق بهذا المنطق الى ان تلعب هذه المقولة دورا كبيرا في تحديد وتضييق مجال التبصر والابداع في الفكر العسكري، ومنع الاستراتيجي حتى من مجرد التفكير بامكان وجود مسلك اخر غير الاصطدام بين الجيوش المتخاصمة في الميدان.

لقد استخدم ليدل هارت هذه المقولة اساسا لتطوير نظريته في التقرب غير المباشر، لانه يعتقد اذا الزمنا انفسنا دائما وابدا بهذا التحديد المفروض ذاتيا، وهو ان علينا وفي جميع الاحوال وبأية طريقة كانت تدمير جيش العدو، نكون عندها قد حرمنا انفسنا من حرية مراعاة الاعتبارات والاعمال الكثيرة.

وبناءً على ذلك وضع ليدل هارت نظريته في (التقرب غير المباشر) والتي ظهرت كاحدى صور النظرية القارية. ومع ان ليدل هارت قد رفض العديد من بديهيات ومعتقدات كلاوتز فيتز الا ان سير تفكيره العام قد ظل يهدف الى وضع نظرية التقرب غير المباشر على اساس

النظرية القارية في الاستراتيجية، مقترحا اعادة صياغتها وفقا لمفهومه الجديد الذي يقترح بالنتيجة ان على الاستراتيجي ان يعمل كل ما بوسعه لافقاد العدو توازنه واجباره على بذل الكثير من طاقاته من اجل استعادة هذا التوازن. كما ادخل في نظريته بصورة ضمنية اضافة الى الفعاليات العسكرية، الفعاليات الاقتصادية والسياسية للصراع، وضمن نظريته العامل النفسي للحرب كعنصر هام ومكمل لها.

ويلخص ليدل هارت نظريته بقوله: انه اذا ربطنا التحليل الاستراتيجي بالتحليل التكتيكي نجد ان استراتيجية الهجوم غير المباشر تأتي في صورتين اساسيتين:

**اولهما** : يتعلق باستراتيجية دفاع مرنة وتراجع مدروس يتوج بهجوم تكتيكي. وتزداد المرونة برأيه كلما كانت القيادة المتنفذة على درجة عالية من التفكير المبدع والخلاق، حيث يقول: "وزادت المرونة للخطة الالمانية بفضل قدرة الادارة المنفذة على الحركة... وكان ضعف الفرنسيين كامنا في تفكيرهم وليس في نوع عتادهم ". [1]

**وثانيهما** : يتعلق باستراتيجية هجومية تهدف الى اتخاذ وضع يفقد الخصم توازنه، وتتوج بدفاع تكتيكي بعد توجيه ضربة الى المؤخرة. ومهما كان الشكل المستخدم فان الهدف المنشود هو زعزعة افكار ومواقع العدو، وهذه النتيجة هي حجر الزاوية في استراتيجية الهجوم غير

---

(1) سليمان، صالح، <u>من قضايا الاستراتيجية والتكتيك</u>، (دار الرشد للنشر، بغداد، ١٩٧٩، صفحة ٦٩-٧٠)

المباشر. الا ان السؤال المهم الذي يبرز في هذا المجال هو كيف واين يجب ان تكون الضربة التي تؤدي الى زعزعة افكار ومواقع العدو؟.

اما كيف؟ فان ليدل هارت يرى بأن اهم وسائل التهديد تاتي اما نتيجة القيام بمناورة التفاف على احد جوانب العدو، او باستثمار اختراق سريع لجبهته، اما اين ؟ فيمكن القول انه اذا تم قطع خطوط المواصلات على مقربة من الجيش فان التاثير عادة ما يكون فوريا، وان تم قرب القاعدة كان التاثير ضخما، وبذلك يمكن الحصول على نجاح اكبر ونتائج أهم بقطع مواصلات العدو عند مؤخرته على عمق كبير ما امكن.

ومن الجدير بالذكر ان صدمة قريبة من مؤخرة جيش العدو تؤثر على افكار المقاتلين بينما تؤثر الصدمة البعيدة في العمق على تفكير القائد نفسه. وتهدف حركة الالتفاف حول مجنبة العدو او نحو مؤخرته الى تحاشي كل مقاومة خلال تنفيذ الحركة وبعد انتهائها. وهذه المناورة تسلك اقل السبل مقاومة ويعود لها في الجانب المعنوي القيام بعمل غير متوقع او في الاتجاه الاقل توقعا.

ويرى ليدل هارت بأن الحركة والمفاجأة يؤثر كل منهما على الاخر، فالحركة الجيدة تحقق المفاجأة، بينما تعطي المفاجأة لعنصر الحركة امكانات مضافة، وتستطيع الاستراتيجية ان تستخدم الحركة بدلا من المفاجأة والعكس. اما العلاقة بين الاستراتجية والتكتيك فهي عبارة عن تشابك يصعب معه ايجاد الحدود بينهما اثناء التنفيذ، ومن الصعوبة بمكان تقدير لحظة انتهاء الحركة الاستراتيجية وابتداء الحركة التكتيكية، اذ لا يختلف احدهما عن الاخر الا في المستوى، ويشمل التكتيك مدى المعركة،

بينما لا تقف الاستراتيجية عند حدود هذا الحقل ولكنها تسعى الى اقلال المعارك ان امكن. وبناء عليه فانه لو طلب من قائد استراتيجي العمل على تحقيق النصر العسكري فإن مسؤوليته تنحصر في الوصول الى هذا النصر في احسن الظروف للحصول على افضل النتائج. ولن يكون هدفه الحقيقي البحث عن المعركة بل العمل على خلق وضع استراتيجي ملائم ان لم يؤد بنفسه الى النصر، خلق وضعاً ملائماً لمعركة تأتي لانتزاع النصر حتماً.

ومن وجهة نظر ليدل هارت فان التفتيت هو هدف الاستراتيجية ويترتب على ذلك تحطيم العدو بصورة اسهل وقد يتطلب هذا التحطيم في بعض الحالات نشوب معارك واشتباكات ولكنها لا تكون ضارية ابداً، ويمكن تحقيق تفتيت استراتيجي لقوات العدو بالحركة التي تؤدي الى:

أ. اضطراب تشكيلة العدو، واجباره على اجراء تبديل مفاجئ في جبهته، وتحطيم توزيع وتنظيم قواته.

ب. تقسيم قوات العدو.

ج. تهديد خطوط تموينه.

د. تهديد طرق انسحابه.

اما التأثير في الحقل المعنوي فانه يتم من خلال التاثير على افكار القائد ويزداد التاثير النفسي عندما يشعر القائد فجأة بانه امام موقف غير ملائم او عند الشعور بالسقوط في الفخ، وما يرافقه من شعور بالعجز عن مقاومة حركة العدو وبالتالي فقدان حرية العمل التي تنشأ نتيجة لفقدان حرية التفكير والتقدير.

ولعل مناورة هتلر ضد فرنسا وقراره بارغامها على الركوع بعد احتلاله بولونيا، ورفض فرنسا التصالح معه يمثل شاهدا حيا على ذلك حيث قال: سأناور ضد فرنسا خارج خط ماجينو دون ان افقد جنديا واحدا. وهذه مبالغة بدون شك ولكنه حققها في عام ١٩٤٠ بخسائر قليلة جدا.

كان محور الجهد الرئيسي الالماني حسب المخطط الاول ينطلق من ناحية الجناح الايمن حيث تعمل مجموعة جيوش (فون بوك). ثم تغيرت الخطة وانتقل محور الجهد بناء على حجج واسباب قدمها الجنرال ( فون مانشتاين ) رئيس اركان مجموعة جيوش فون بوك الذي طالب بالقيام بحركة اختراق عبر منطقة الاردين على اقل الاتجاهات توقعا مما يزيد فرص النجاح. وقد امتازت هذه المعركة بتجنيب القيادة الالمانية كل انقضاض مباشر، او باستخدام الهجوم غير المباشر باستمرار رغم تفوقها في الوسائط الهجومية الحديثة. وهذا ما وضع الفرنسيين في حيرة لا يعرفون معها اتجاه الجهد الرئيسي للهجوم.

## نظرية ماوتسي تونغ

يعد ماوتسي تونغ الاب الروحي لهذه النظرية ويعد كل من (هوشي منه) و(نجوين جياب) و(فيدل كاسترو) و(ارنستوتشي جيفارا) الانصار والحواريين المبدعين الذين عمقوا ووسعوا النظرية، واغنوها استنادا الى تعاليم مؤسسها ماوتسي تونغ.

ومع ان هذه النظرية شيوعية دون أي شك الا انها ليست الشيوعية الروسية بل الشيوعية الصينية وشتان ما بين الاثنتين لما هناك من فروق حاسمة بينهما.

ان هذه النظرية بسيطة جدا اذ يستطيع المرء ان يبدأ شن الحرب الثورية بمجموعة صغيرة من المؤمنين المتحمسين للنظرية، والخطوة الاولى فيها هي التثقيف السياسي لنواة متعاظمة من المتعاطفين في الريف، ويلي ذلك حرب عصابات اوسع تشن سوية مع حرب سياسية واجتماعية واقتصادية موجهة جميعها ضد الحكومة الطاغية القائمة وضد قواتها المسلحة ومؤسساتها الاخرى.

ومع تعاظم هذه الفعاليات بنجاح ملموس ومضطرد فقد يصبح من المناسب استخدام كوادر اكبر من العصابات في تنظيمات اقرب في حجمها واساليب عملها الى الجيوش النظامية، وفي النهاية يصبح كل الريف منهمكا في الاعمال العدائية المنظمة والمنضبطة ضد الحكومات غير الشيوعية القائمة. حتى اذا ما ضعفت هذه الحكومات وانهارت امكن استبدالها بجهاز شيوعي جديد، وهنا تدخل حرب التحرير الشعبية في مرحلة اكبر واشد للوصول الى مرحلة الهيمنة الشيوعية.

وما يهمنا من نظرية ماوتسي تونغ الان ثلاث نقاط رئيسة هي:-

* ان هذه النظرية قد وضعت موضع التجربة وانها قد اثبتت نجاحها التام في الصين وفيتنام ( الشمالية ) وكوبا والجزائر. أي اننا لم نعد نتحدث والحالة هذه عن مجرد افكار تجريدية بل عن حقائق ثابتة وقائمة.

* ان استناد هذه النظرية على قاعدة فلاحية وليس على بروليتاريا المدن امر في غاية الاهمية، ويعود السبب في ذلك ان معظم مناطق العالم التي لم تتورط في الصراع بعد في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ليست مجتمعات مدنية بل مجتمعات فلاحية في معظمها ( أي انها الارض المثالية لتطبيقات نظرية ماو في حرب التحرير الشعبية ).

* تخالف نظرية ماو وبشكل كامل تقريبا نظرية كلاوتز فيتز او النظرية القارية، حول الجيوش الضخمة المنظمة وكما يبدو واضحا في المقارنة التالية:

أ. اشترط كلاوتز فيتز تدمير قوات العدو وبوسيلة واحدة هي الاشتباك ( المعركة ) فقط وان الاشتباكات العامة والكبرى وحدها هي التي تحقق نتائج ضخمة والنتائج ستكون اضخم عندما تكون في معركة كبيرة واحدة.

ب. ان الهدف النهائي عند كلاوتز فيتز هو تدمير قوات العدو المسلحة اما ماوتسي تونغ فيرى:

- ان مجموعات صغيرة تعمل مستقلة عن بعضها البعض تلعب دورا رئيسا وليس هناك شيء اسمه معركة حاسمة.

- اراضي الريف هي افضل ساحات القتال كما يقول جيفارا.

انه لمن المهم هنا ملاحظة انه في الوقت الذي تعد فيه الاستراتيجية المعتادة للنظرية القارية، او لنظرية كلاوتز فيتز هي استراتيجية تعاقبية، فان مركز الثقل في نظرية ماو يستند على مفهوم تراكمي لا تعاقبي. وقد يكون هذا هو احد اهم الاختلافات فيما بين النظريتين. وسنقوم بشرح الاستراتيجية التعاقبية والتراكمية في القسم اللاحق.

## رابعا : اشكال الاستراتيجية العسكرية:

يعتقد كثير من المفكرين بان هنـاك شكلان رئيسيان مـن اشكال الاستراتيجية يصبحان اكثر وضوحا عند التطبيق، وهذان الشكلان هما:

- استراتيجية التعاقب.
- استراتيجية التراكم.

وهذان النوعان او الشـكلان مـن اشكال الاسـتراتيجية العسـكرية يكمل احدهما الاخر، بشكل لـو احسـن اعدادهمـا لامكن ربـح الكثير مـن الحروب، بالقليل من الوقت والتكاليف والضحايا.

ولعل اول مـن اقترح هذا النـوع مـن التصنيـف هـو الدكتـور (هيربرت روزتسكي) في مناقشة جرت في ربيع عام(١٩٥١)، ثم جاء من بعده الجنرال ( جي.سي.وايلي)[1]. حيث اعتبر الحرب سلسلة متتابعـة مـن الخطوات والاعمال المنفصلة، تنبثق فيها كل سلسـلة وتنمـو بشـكل طبيعـي من الاعمال والخطوات التي سبقتها ومعتمدة عليها في الوقت نفسـه. ومـن خلال النمط العام والكلي لجميع سلاسل الخطوات والاعمال يتشكل تسلسليا السياق العام والمسار الكلـي للحـرب. واذا اتفق واتخـذت أي مـن سلاسـل الاعمال تلك وفي أي مرحلة من مراحل الحرب منحى مختلفـا آخـر فـــلا بد من ان يتخذ مجموع السياق العام هو الاخر نمطا مختلفا، أي انه ينقطـع عن مجراه السابق. وكما حدث في الحرب العالمية الثانية حين بدأ الاندفاع الالمـاني فـي الاراضي الروسية، فقد تـألف هــذا الاندفـاع مــن سلسلة مـن الخطوات المنفصلة، كان بوسع الاستراتيجي ان يرى كل خطـوة منهـا

---

(١) وايلي، مرجع سابق، ص٤٦ – ٤٨.

على انفراد وبوضوح حتى قبل وقت طويل من وقوعها، وتقييم كل منها في ضوء نتائجها المتوقعة، بحيث كل خطوة كانت ستقود الى اتخاذ القرار للخطوة التالية التي ينبغي التهيؤ والتخطيط لها، وهذا هو ما نعنيه بالاستراتيجية التعاقبية ويمكننا القول ان هذه الاستراتيجية سمة ملازمة للحروب القارية.

واذا كنا قد تحدثنا عن نوع من انواع الاستراتيجية العسكرية فان هناك طريقة اخرى لمواصلة الحرب، وهناك نوع اخر مختلف من الحرب، نوع يتشكل النمط الكلي فيه من مجموعة او مجموعات من الاعمال الصغيرة والاقل شأنا والتي لو اخذت كل منها بمفردها لن تكون اكثر من مجرد رقم في قائمة او احصائية طويلة، او مجرد عامل اضافة او نقصان في الوصول الى النتيجة النهائية ( الهدف )، ولا تتعاقب هذه الاعمال بشكل متداخل او معتمدة على بعضها البعض.

ويمكن ان تكون الحرب النفسية وكذلك الاقتصادية مثالين على هذا النوع من الاستراتيجية، اذ لايعتمد أي عمل في الحربين الاقتصادية والنفسية على العمل السابق له، والامر المهم في النهاية هو التاثير التراكمي لكل تلك الاعمال المنفردة.

ان الاعمال القتالية المنفردة او الانتصارات الفردية تعد تكديسا دؤوبا لانتصارات فردية وعشوائية تقريبا – أي لا رابط محكما بينها – ويشكل عنصرا مستقلا في التاثير العام ( التراكم ).

والشيء الذي يستوجب الملاحظة هو امكانيـة التنبـؤ سـلفا بنتـائج استراتيجية التعـاقب بينمـا مـن غير الممكن سـلفا التنبـؤ بالتـاثير المركـب للاستراتيجية التراكمية خصوصا عند تطبيق الاستراتيجيتين سوية.

ان استراتيجية التعـاقب تتـألف فـي مجملهـا مـن سلسـلة مـن الخطوات المتميزة والمنفصلة عن بعضها والتي تعتمد فيها كل خطوة على الاخرى التي سبقتها بينما الاستراتيجية التراكمية تنجم عن تكديـس وتراكـم مجموعة او مجموعات مـن الاعمـال (الاجـزاء) الدقيقـة والاقـل وضوحـا، والتي تتراكم فوق بعضها البعض حتـى تكتسـب، فـي نقطـة مـا – يصعـب تحديدها – حجمـا وكثافـة كبـيرين يضفيـان عليهـا الاهميـة التـي تسـتحقها. وهاتان الاستراتيجيتان ليستا متنافرتين ولا غير قابلتين للاقتران بل وعلـى العكس من ذلك تماما فانهمـا فـي التطبيـق العملـي تعتمـدان علـى بعضهمـا البعض لا سيما في نتائجهما الاستراتيجية.

لم يقدم تاريخ الحرب ولو مثالا واحدا عن حرب اسـتخدمت فيهـا الاستراتيجية التراكمية بمفردها الى النهاية وحتى تحقيق النصر التـام، امـا عندما استخدمت استراتيجية التراكم كرديـف لاسـتراتيجية تعاقبيـة ووجهتـا معا نحو نقطة حاسمة في البنية الكلية للعدو فلدينا العديد مـن الامثلـة التـي تثبت وتؤكد لنا ان القوة المجردة للاستراتيجية التراكمية كانت حاسـمة فـي نجاح او فشل الاستراتيجية الاخرى.

ويقول ليدل هارت:" ولقد اثبتت تجارب الحرب العالمية الثانية ان تراكم تاثير سلسلة من النجاحات الجزئية، او التهديدات الموجهة لعدد من النقاط خير من النجاح الكامل في نقطة واحدة". [1]

ومع ذلك فانه اذا كانت الاستراتيجية التراكمية ليست حاسمة بحد ذاتها او بقوتها المجردة والى الحد الذي يعتمد عليه، عندها يجب ان تتوجه الدراسات من اجل ان نعرف متى وكيف يمكن استخدام الاستراتيجية التعاقبية على افضل وجه من اجل ان تدعم وتؤازر الاستراتيجية التراكمية بما يخدم المسار العام والمرغوب به للحرب.

بعد هذا العرض لمفهوم الاستراتيجية العليا والاستراتيجية العسكرية، وعرضنا لاشكال الاستراتيجية العسكرية نجد بانه لا بد لنا من توضيح الفرق بين هاتين الاستراتجيتين وذلك لتحاشي الالتباس الذي يقع فيه بعض المعنيين وهم يقرأون عن هذا الموضوع. ومن خلال استعراضنا لوجهات النظر فانه من الممكن ان نوجز هذا الفرق على النحو التالي:

١. ان المهمة الاساسية للاستراتيجية العليا هي تكييف مختلف الوسائل لتحقيق اغراض الدولة.

٢. ان مجال اهتمام الاستراتيجية العليا ينصب على تنسيق سياسة الدولة الداخلية والخارجية لتحقيق الاغراض الاساسية، وذلك عن طريق استخدام الوسائل السياسية او الاقتصادية او العسكرية منفردة او مجتمعة او التهديد باستخدامها.

---

([1]) ليدل هارت، مرجع سابق، ص٢٨٤.

٣. تشمل الاستراتيجية العليا على استراتيجيات فرعية متعددة اقتصادية، وسياسية، وعسكرية، وغيرها.

٤. ان المخطط الاعلى للاستراتيجية العليا او القومية او المتعلق بالادارة العامة للحرب يهتم بحالة السلم التي لا بد وان تعقب حالة الحرب.

٥. تنسجم الاستراتيجية العليا مع الاخلاق لانها تتدخل كمبدأ توجيهي يحافظ به الاستراتيجي على الهدف الاصلي للجهود التي بذلها بينما تتعارض الاستراتيجية العسكرية مع الاخلاق لأنها تستخدم الخداع على نطاق واسع[١].

**اما لو نظرنا الى الاستراتيجية العسكرية فاننا سنجد بانها تتميز بما يلي:**

١. مهمة الاستراتيجية العسكرية هي اعداد ووضع الخطط العامة التي تحدد طرق استخدام القوات المسلحة لتنفيذ عمليات محدودة او واسعة النطاق.

٢. تسعى الاستراتيجية العسكرية لتحقيق بعض اهداف الدولة وليس جميعها وذلك عن طريق الاستخدام الفعلي للقوة.

٣. الاستراتيجية العسكرية هي استراتيجية فرعية في اطار الاستراتيجية العليا مثل الاستراتيجية السياسية والاقتصادية وغيرها.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٧.

هذه هي اهم الفروقات بين الاستراتيجيتين المذكورتين رغبنا في توضيحها ليستطيع القارئ التمييز بينهما. اما عن هيكل الاستراتيجية، فانه لابد لاي استراتيجية من ان تتضمن النواحي الرئيسية التالية:

١. اختيار الاهداف وتحديدها.

٢. اختيار الاساليب والوسائل لتحقيق هذه الاهداف.

٣. وضع الخطط التنفيذية.

## الفصل الثاني : الاستراتيجية الاسلامية

اولا : منطلقات الاستراتيجية الاسلامية.

ثانيا : طبيعة الاستراتيجية الاسلامية واهدافها.

ثالثا : مميزات الاستراتيجية العسكرية الاسلامية.

رابعا : تنظيم الجيوش ومفهوم الحرب عند المسلمين.

## مقدمة

يؤخذ على الخبراء العسكريين في الغرب والذي يفترض فيهم التجرد العلمي انهم متعصبون للغرب في دراساتهم واستنتاجاتهم، حيث لم يشيروا في مؤلفاتهم الى الفتوحات العربية الاسلامية ولا الى القادة العسكريين الاستراتيجين العرب، وهو تجاهل لتاريخنا العسكري ومحاولة اسدال ستار من الظلام عليه. ومن هنا فاننا نهيب بقادة الفكر لدينا، القيام بمحاولات جادة لدراسة الفكر الاستراتيجي الاسلامي وتحليل المعارك، وابراز الاساليب الاستراتيجية المتبعة فيها على غرار ما يفعل الغربيون.

واذا كان الغربيون قد عملوا عامدين على اغفال سيرة القادة الاسلاميين، فان التاريخ لا يمكن ان يغفل تلك الظواهر التاريخية من بطولات العرب المسلمين وتضحياتهم.

لقد اكتسح العرب المسلمون في مدة زمنية قياسية الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية وامتدوا الى الامصار الاخرى، فاقتحموا الهند، وحدود الصين في الشرق، واجتاحوا شمال افريقيا حتى شواطئ الاطلسي في الغرب، ثم قفزوا على القارة الاوروبية واجتازوا جبال البرانس الى قلب فرنسا حتى وصلوا الى مسافة مائة وخمسين ميلا من باريس. حدث كل هذا في سنوات معدودة. ولذلك طغت الفتوحات الاسلامية على كل منطق وقياس، حيث كانت اقرب الى المعجزة منها الى الامر الواقع المنظور. ولا يزال مؤرخوا الغرب حتى يومنا هذا يحارون في تفسير هذه الظاهرة ويختلفون في وصفها وبحث اسبابها ومقوماتها، وعلى وجه الخصوص - الفتوحات الاسلامية الاولى في بلاد الفرس

والروم، لان العرب قبل ذلك، أي قبل الاسلام. لم يكن لهم شأن يذكر من الناحية العسكرية.

لقد اخذت الجيوش الاسلامية بعد الدعوة تضرب في كل مكان، وتسحق من يقف في وجهها، كانت كالسيل الجارف لايقف امامها شيئ، وقد علق الكاتب الانجليزي المشهور (هليار بلوك) على هذه الظاهرة بقوله:"ان هذا ما وقع فعلا، فبينما كانت مدن الامبراطورية البيزنطية تحتفل بانتصارات الامبراطور هرقل على الفرس، وبينما كان الناس في جدل وحبور عظيمين، حدثت المعجزة، حدث انذار او اشارة "، ويمضي فيقول:"اني اقول ان معجزة كهذه من حيث خطرها وبعد اثرها وعظيم نتائجها كانت مسوقة بقوة لا يستطاع تفسيرها وان كان ما لدينا من المصادر والوثائق يساعدنا على تفهم الاسباب التي جعلتها امرا واقعا منظورا "[1].

لقد حدثت الصدمة الاولى عندما تقدمت الجيوش الاسلامية القليلة العدد والعدة من الجزيرة العربية لمنازلة جيوش اكبر دولتين في ذلك العصر في آن واحد، وبعد ان انجز خالد بن الوليد فتح ما بين النهرين في الشرق وامن جناح القوات التي غزت ارض الروم، وعلى ضفاف اليرموك وقعت المعركة التي بدلت وجه التاريخ في هذه المنطقة من العالم، فانتصر المسلمون انتصارا حاسما، ومزقوا جيش الامبراطورية الرومانية الذي كان يفوقهم عددا وعدة، وبعدها بحوالي سنة واحدة فقط

---

(1) الزعيم الركن يوسف كعوش، من اعلام تاريخنا العسكري:(مطبعة القوات المسلحة الاردنية، الطبعة الثانية، عمان ١٩٧٢، ص١٢).

وعلى ضفاف الفرات وجهت الضربة القاصمة لامبراطورية الفرس في الشرق.

هذا ما حدث على ارض الواقع، ولكن ما حدث لم يكن بفعل قوة لا يستطاع تفسيرها كما يحاول هليار بلوك تفسير ذلك، بل ان ما حدث عبارة عن فعل قام به رجال امنوا بالله واخلصوا في ايمانهم لربهم ودينهم فنصرهم الله على عدوهم. ففتحوا الافاق ونشروا دعوتهم في مختلف بقاع الارض.

ان ما حدث ليس مجرد فعل فقط، بل هو فعل منسق ومخطط ومرسوم بدقة وعناية. لقد قيض الله لهذه الدعوة رجالا من افذاذ الرجال على مختلف الصعد السياسية والادارية والعسكرية، فنجحوا في ايصال رسالتهم للعالم، ولا يعقل كما يدعي الكثير من المؤلفين والمؤرخين ان تكون كل هذه الانتصارات والفتوحات قد جاءت بمحض الصدفة، بل جاءت نتيجة لعبقرية قادتها التي رسموها وخططوا لها واستعدوا لخوض غمارها. لقد كان تفكير هؤلاء القادة بمستوى مسؤولياتهم وكانت عبقريتهم واضحة بكل افعالهم واعمالهم و لذلك نجحوا في كل ما رسموه او خططوا له.

ان النجاحات التي حققها المسلمون على مختلف الصعد وفي شتى الميادين، لابد وان تكون قد انطلقت من استراتيجية واضحة الاهداف والمعالم ولم تكن للحظة وليدة لعمليات ارتجالية او خاضعة لقوانين الحظ والصدفة. حيث لا يعقل ان تنشأ امبرطورية على نظرية الصدفة، او الحظ، لأن أي امة من الامم تسعى الى تحقيق هدف ما، لابد وان تكون لها رؤيتها الخاصة للوصول الى هذا الهدف. ولانعتقد بأن الامة الاسلامية في

واقعها ككيان سياسي مستقل تحيد عن هذه الرؤيا او هذا المنطق. فهذه الدولة التي نشأت على يد رجل واحد لتصبح بعده واحدة من اعظم القوات العسكرية في ذلك الزمان لابد وان تكون قد خططت لذلك وعملت على تنفيذه بدقة متناهية، واتقان نادر.

لقد كانت نواة الدولة الاسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي شبه الجزيرة العربية، اخذت بعد وفاته تتسع الى ان وصلت الى المحيط الاطلسي، ان معجزة ظهور دولة كهذه وما حققته من الرفعة والتقدم لابد وان تكون قد استندت على جذور تاريخية وشخصية مميزة سمحت لها بأن ترتقي على سلم المجد لتنافس غيرها في حركتها التاريخية. كما ان هذه الحركة لابد وان تكون قد انطلقت من استراتيجية واضحة ذات اهداف محدودة ووسائل قادرة على تحقيقها.

وعلى الرغم من ادراكنا بأن مفهوم الاستراتجية هو من المفاهيم التي لم يستخدم نظريا من قبل القيادات الاسلامية، او من قبل المؤلفين والمؤرخين في صدر الاسلام، الا ان ذلك لايمنعنا من محاولة رسم خطوطها والتعرف عليها من خلال دراسة الاهداف والخطط والاساليب التي استخدمت في ذلك الوقت ضمن اطر ومفاهيم الاستراتجية الحديثة ما دامت تقع ضمن هذا الاطار. وقبل البدء في هذه المحاولة لا بد لنا بداية من محاولة التعرف على المنطلقات الاساسية التي استندت اليها هذه الاستراتجية في طبيعتها واهدافها ووسائل تحقيقها، وسنحاول التعرف على هذا الاطار الشامل من خلال تتبعنا لكل المكونات الاساسية له ومحاولة وضعه في قالبه الصحيح ليتناسب والمفاهيم المعاصرة.

## اولا: منطلقات الاستراتيجية الاسلامية:

### ١. المرتكز العقائدي:

ان الاسلام لم ينجح لانه دين قتال كما يردد اعداؤه المغرضون،ولكنه نجح لانه دعوة لازمة يقوم بها داع موفق، ومن هذا الاعتبار فان الرسول نظر الى الحرب كضرورة بغيضة يلجأ اليها حيث لا حيلة الى اجتنابها، ويتجنبها حيثما تيسرت له الحيلة الناجحة. والشواهد التاريخية التي تؤشر على هذه الحقيقة متعددة وكثيرة حتى وان ظهر في حروبه مبادرا في القتال. فهذ الدين آمن به الكثير من العرب والمشركين عند ظهوره، ولولاهم لما كان له جند ولا حمل السلاح في سبيله احد، وحروب النبي كانت كلها حروب دفاع ولم تكن منها حرب هجوم الا على سبيل المبادرة بالدفاع. والاسلام انما يعاب عليه ان يحارب بالسيف فكرة يمكن ان تحارب بالبرهان والاقناع، ولكن لا يعاب عليه ان يحارب بالسيف سلطة تقف في طريقة وتحول بينه وبين اسماع المستعدين للاصغاء اليه. لان السلطة تزال بالسلطة ولا غنى في اخضاعها عن القوة.

ولم يكن الكفار اصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الاسلامية وانما كانوا اصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة تحفظ تلك السيادة في الابناء بعد الاباء، وان زوالها يزيل مالهم من سطوة الحكم والجاه. لذلك فأن الاسلام لم يحتكم الى السيف الا في الاحوال التي اجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها، فالاسلام لابد وان يوازن بين كونه رسالة رحمة ومودة وبين خصوصيته العالمية التي تقتضي التبليغ للناس كافة. فالاديان الكتابية بينها فروق موضعية لا بد من ملاحظتها عند البحث في

هذا الموضوع. فاليهودية كانت كما يدل عليها اسمها اشبه بالعصبة منها بالدعوة العامة لجميع الناس، ومن هنا اختلفت المواقف بين الاديان فيما يخص التبليغ ووسائل التحقيق والنشر. فالاسلام جاء للناس كافة وان الرسالة التي جاء بها محمد عليه السلام لم تقتصر على قوم دون قوم فكان قوله تعالى:- "وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون" [1] وقال: يا أيها المدثر قم فأنذر"[2] وقال ايضا: " قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا" وقال عليه السلام: "وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس جميعا" وقال تعالى: "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة". وقال عليه السلام ": امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله، واني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله".

يتضح من الايات والاحاديث سابقة الذكر، ان العقيدة الاسلامية فكرة تتطلب التبليغ للناس كافة. ولان هذه الفكرة بمجملها فكرة منطقية وتستجيب بشكل متوازن لجميع حاجات الانسان المادية والروحية فقد استقبلها الكثير من الناس وامنوا بها عن طريق الاقتناع بما جاء فيها، ولان أي فكرة بهذه المواصفات يمكنها استقطاب الكثير من الناس لذلك فهي ليست بحاجة الى استخدام وسائل اخرى لاستقطابهم، ولكن يصبح استخدام هذه الوسائل ضرورة حتمية اذا ظهر من يحاول الوقوف بين هذه

---

(١) سبأ آيه (٢٨)
(٢) المدثر آيه (١) و (٢)

الفكرة وبين الناس في محاولة لمنعهم من الاستماع اليها. ففي مثل هذه الحالة يصبح استخدام الوسائل الاخرى امرا محتما. وقد ثبت تاريخيا ان اصحاب السلطة هم الذين كانوا يحولون بين افراد الشعب وبين هذه الفكرة، وكانوا يقاومونها بكل ما لديهم من قوة وسلطان، ولذلك لم تكن افكار المفكرين ولا مذاهب الحكماء هي التي تقف في وجه الدعوة، بل قوة السلطة المادية لاغير. والسلطة التي تتمتع بالقوة لا تواجه الا بسلطة مماثلة اذا كان الهدف هو ايصال الفكرة الى آفاقها بمدلولاتها المادية، والمعنوية للبدء في عمليات التغيير.

وتأسيسا عليه يكون الاسلام قد فرض القتال حيث سوغه العقل والمنطق، لانه لا يطلب الحرب من اجل الحرب او الهيمنة والتسلط، بل الحرب كوسيلة من وسائل تحقيق الهدف المتمثل بنشر الدعوة الاسلامية، بعد أن يكون قد وضع جميع الوسائل الاخرى موضع الاستخدام وجربها على احسن وجه. وهكذا يكون الاسلام قد شرع القتال كوسيلة تغيير بعد ان تكون جميع الوسائل الاخرى المتاحة قد استنفذت اغراضها.

كما ان الاسلام لم يشرع القتال لفرض عقيدته بالقوة، ولكنه اوجب القتال كوسيلة قد يتم اللجوء اليها للدفاع عن حرية نشر هذه العقيدة بين الناس، ومن ذلك يتبين ان للقتال في الاسلام هدف سام، وغاية مثلى تتجسد في اعلاء كلمة الله في الارض التي تستهدف خير الانسانية. ولهذا فرض القتال على المسلمين ليتمكنوا من التصدي لكل قوة تحاول الوقوف بين الناس وهذه الغاية.

لهذا السبب وغيره فرض الله الجهاد على المسلمين بكل عناصره المادية والمعنوية، قال تعالى:"انما المؤمنون اللذين امنوا بالله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون"[1] وقال ايضا:"يا أيها اللذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون". [2]

ولان الجهاد هو السبيل لاداء مهمة اعلاء كلمة اللة في الارض ونشر العقيدة بين الشعوب، ومن خلاله يستطيع الاسلام اعلان فكرته وتعميم منهجه ووضع قوانينه الربانية العادلة موضع التطبيق العملي لخير البشرية جمعاء، فقد اكتسب موقعه الخاص بين شرائع العقيدة، وكنتيجة لكل هذه الابعاد والمعطيات فقد اخذت الاستراتجية الاسلامية صفتها الرئيسية كاستراتيجية يغلب عليها طابع التعرض والمبادرة.

### ٢. المرتكز الاقتصادي والسياسي:

لايقل دور الاقتصاد في خدمة القوات المسلحة حيوية عن دوره في تنمية المجتمع وتطوير حياة المواطنين الاقتصادية، فالموارد الاقتصادية ضرورة لازمة لاعداد الجيوش وتجهيزها وتنظيمها. ومن الطبيعي ان تكون الدول ذات الموارد الاقتصادية الكثيرة في وضع افضل

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٥)
(٢) سورة الصف الآية (١١)

من الدول ذات الموارد الاقتصادية المحدودة خصوصا في مجال التسليح والاعداد وتجيهز الجيوش.

وتمثل وفرة الموارد الاقتصادية اذا استغلت بصورة جيدة مظهرا من مظاهر قوة الدول، واذا لم تستغل بصورة جيدة تصبح هذه الموارد قوة جذب هائلة للاعداء والطامعين. فمن غايات الدول المبادرة للهجوم في كثير من الاحيان للسيطرة على الموارد الاقتصادية في الدول الاخرى، وهناك امثلة كثيرة في التاريخ تؤشر على هذه الحقيقة، فالواقع الراهن للسيطرة على الموارد العربية والاسلامية دليل ساطع على نهب ثروات الشعوب واختلاسها.

واذا كانت الوفرة الاقتصادية هدف تسعى معظم الدول الى تحقيقه، فان ذلك لم يكن خافيا على قيادات الدولة الاسلامية في رحلة بناء الدولة، الا ان هناك ما يستوجب الاشارة اليه في هذا المجال بين النظرة الاسلامية ونظرة الدول الاخرى الى هذا الهدف. فالهدف الاقتصادي في الاسلام لم يكن غاية على اهميته بقدر ما كان وسيلة من وسائل الضغط على الاخرين للانصياع للارادة الاسلامية من اجل احداث التغيير المطلوب، وبناء عليه فقد طبعت الاهداف الاقتصادية اسلاميا بطابع الخلق والفضلية، فلا استغلال ولا نهب ولا اختلاس لثروات الشعوب. ولكن من الضرورة هنا ان لا يغيب عن البال ان أي استراتيجية تتبناها الدولة هي تعبير مكثف عن قدرات هذه الدولة الاقتصادية والعسكرية والسياسية. والجزيرة العربية كما هو معروف منطقة جغرافية تتصف بضآلة مواردها الاقتصادية، لذلك اقتضت عملية التوازن بين الموارد الاقتصادية واهداف

العقيدة وتبعاتها الانطلاق الى الافاق الرحبة، لان الامتداد الجغرافي يمثل عنصرا رئيسيا في تطوير مساحة الدولة ويحقق لها الموارد الاقتصادية المضافة التي يمكن تجنيدها لخدمة الغرض الابعد.

واذا ما عرفنا ان الجهاد هو احد اهم وسائل الدعوة لتحقيق اغراضها، وان هذه الوسيلة دائمة ومستمرة ادركنا ما للموارد الاقتصادية من اهمية ودور حاسم في تجهيز الجيوش واعدادها لاداء دورها الانساني المستمر، وكلما تزايد حجم وعدد هذه الجيوش كلما اصبحت الحاجة الى الموارد الاقتصادية اكبر.

اما على الصعيد السياسي فلا يخفى على احد ان مساحة الدولة وعدد سكانها ومواردها الاقتصادية هي العناصر الرئيسية لقوة الدولة ودورها الاقليمي والعالمي، اذ لا يعتقد بأن دولة ذات دور هامشي قادرة على النهوض بمهمة عالمية ورسالة انسانية.

ولما كانت الرسالة المحمدية رسالة عالمية لكل البشر فقد كان لزاما على الدولة التي تضطلع بمسؤولية حمل هذه الرسالة ان تكون ذات دور عالمي وقدرات عظيمة. ومن هنا فان الهدف والمنطق يفرضان على حملة هذه الرسالة العمل على نشرها وتوسيع رقعة دولتهم، وهو ما زاد من حجم المسؤوليات الملقاة على قيادة الدولة الاسلامية خصوصاً في مراحلها الاولى.

لقد فرضت حقائق الدعوة ذاتها على القيادات السياسية والدينية وحتمت عليها العمل على تطوير قدرتها السياسية وبالتالي دورها على الساحة الدولية بما يتناسب ومتطلبات الدور المنوط بها. لانه لا يعقل

لدعوة ذات خصوصية عالمية ان تنتشر وتمتد من خلال دولة ذات دور هامشي وقدرات متواضعة، بل لا بد من التطوير والارتقاء بهذه القدرات لتوازي حجم مسؤولية الدور.

ان التطوير المطلوب على مظاهر القوة للدولة الاسلامية كان يحتم النظر الى الافاق البعيدة وما وراء حدود الجزيرة العربية، ومن هنا كان لابد من المبادرة واختراق حدود الدول المجاورة بغية الوصول الى الهدف. فبدأت عملية الاختراق لحدود الدول المجاورة ومعها بدأ البناء السليم لخلق دولة تتوازن فيها القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية مع المهمة الملقاة على عاتق هذه الدولة.

مما سبق يتضح ان طبيعة الدعوة المحمدية وشموليتها قد فرضت نوع التطوير الحتمي في عناصر القوة وهيكل الدولة ودورها العالمي. وما كان هذا ليحدث لولا ان تبنت الدولة الاسلامية استراتيجية قادرة على انتزاع كل هذه المتطلبات، وبالتاكيد فان استراتجية كهذه لابد لها وان تكون استراتيجية تعرضية ومبادره.

### ٣. المرتكز الاجتماعي والجغرافي:

لم تكن حقائق العقيدة الاسلامية بخافية على احد من سكان الدول المجاورة او مسؤوليها. وكما هو معروف تاريخيا فان المجتمعات الفارسية والرومانية، والعربية قد انتشر فيها الكثير من المعتقدات والاديان قبل مجيء الاسلام. حيث كانت المسيحية منتشرة بين الروم والعرب التابعين

لهم في بلاد الشام، وكانت الزردشتية وعبادة النار منتشرة بين الشعوب الفارسية، وانتشرت بعض الاديان الاخرى كعبادة الاصنام والكواكب والنجوم على اطراف الجزيرة العربية وفي داخلها.

وجميع هذه الاديان كانت منتشرة بدرجات متفاوتة بين شعوب المنطقة حتى باتت تشكل عقبة رئيسية امام انتشار الدعوة الاسلامية، لذلك فان أي متتبع للاحداث لابد له وان يتوقع بان هناك حتمية للمواجهة والصراع بين العقيدة الناشئة وتلك المعتقدات والاديان واسعة الانتشار. كما انه من غير المعتقد ان فكرة القضاء على هذه العقيدة كانت غائبة او بعيدة عن مخيلة الساسة، واصحاب القرار في دولتي الفرس والروم واتباعهما من العرب. ويرتكز هذا التوقع على ظهور مصلحة مشتركة للدولتين المذكورتين وهدف واحد يتجسد في ضرورة القضاء على العقيدة الناشئة قبل ان يستفحل خطرها وتهدد مصالح ومكتسبات تلك الدول.

وامام هذا الواقع الذي يمكن له ان يتغير في أي لحظة، ونتيجة لامتداد حدود الدولة الاسلامية الناشئة امتدادا كبيرا مع هاتين الدولتين، حيث كانت الامبراطورية الفارسية تمتد من الشرق الى الشمال الشرقي للجزيرة العربيه وحدود الامبراطورية الرومانية تمتد من الغرب وحتى الشمال الغربي. لذا بات لزاما على الدولة الاسلامية ان تعمل على بناء قوة قادرة على الدفاع عن نفسها من جهة، وان تكون قادرة على اختراق حدود هاتين الدولتين عند الضرورة من جهة اخرى.

اما من الناحية الجغرافية فان لموقع الدولة الجغرافي أثره على علاقة هذه الدولة بغيرها من دول الجوار، ولاتخفى اهميته في قدرة الدولة على التكيف السريع مع الاعتبارات الاستراتيجية، كما يتكفل هذا الموقع بتقديم نسبة معينة من الحماية الطبيعية في بعض الحالات، الا ان مستوى هذه الحماية يتغير تبعا لتغيير الظروف والتطور العلمي. ومن هنا نلاحظ ان اهمية الموقع الجغرافي متغيرة أيضا، فما يعد حماية في عصر من العصور قد لايصبح كافيا في عصر اخر. وتعتمد اهمية الموقع الجغرافي على تواجد الظواهر الطبيعية، كالانهار والبحيرات والصحارى والموانع الطبيعية التي يمكن ان استغلت او اجرى عليها بعض التحسين المساهمة بالدفاع عن حدود الدولة، اضافة لما تمتلكه هذه المساحات من ثروات طبيعية [1].

ويعرف الخبراء العسكريين بأن هناك ارتباط وثيق بين مساحة الدولة وتكوينها الطبوغرافي مع فلسفتها العسكرية وشكل الدفاع وتنظيم قوتها العسكرية وحجم هذه القوة، فالدول ذات المساحات الواسعة لا بد لها وان تملك جيوشا كبيرة قادرة على حماية حدودها والدفاع عنها، كما ان مساحة الدولة وتنوع اقاليمها المناخية يجعل من الدولة وحدة سياسية لها وزنها وقيمتها الاقليمية والدولية.

وتكمن الاهمية العسكرية لمساحة الدولة في قدرتها على الدفاع في العمق، كما يساعد الدولة على القيام بالهجوم الثاني أو الهجوم

---

(1) صالح، حسين عبد القادر، المظهر الجغرافي لقوة الدولة، (جمعية عمال المطابع التعاونيه، الطبعه الاولى، عمان، ١٩٧٦،ص١٤-١٧)

المعاكس. وقد استفادت روسيا على سبيل المثال من مساحتها في حروبها مع نابليون، وخلال الحرب العالمية الثانية، فبعد اجتياح القوات الالمانية للاراضي الروسية تمكنت القوات الروسية المنسحبة من تجميع نفسها وقامت بشن هجوم معاكس على القوات الالمانية حتى دحرتها، مستفيدة الى الحد الاقصى من المساحة وعوامل الطقس لتحقيق ذلك.

ان الجزيرة العربية كما هو معروف أرض قاحلة في معظم مساحاتها الا انها تحتوي على اكبر صحارى المنطقة، وكانت هذه الصحارى تمثل العقبات الرئيسية امام القوى المعادية، حيث كانت هذه القوى تحجم عن مهاجمتها او الدخول في اعماقها. وبذلك شكلت الصحراء العربية حاجزا منيعا ساعد على حماية الدولة الاسلامية الناشئة. الا ان هذه الميزة لا تمنعنا من القول بأن الجزيرة العربية كانت ارض قاحلة وذات موارد محدودة،وان نشوء دولة ذات دور عالمي في هذه المنطقة فقط كان يبدو امرا غير محتمل، فلا بد والحالة هذه من البحث عن مخارج تسمح بتعدد الموارد والاقاليم.

وبناء عليه فان واقع الحقائق الاجتماعية والجغرافية كانت تؤشر على حتمية مؤكدة للصراع، فبادرت القيادات الاسلامية بتهيئة الظروف وحشد الامكانات المناسبة التي تتلائم مع هذه الحتمية، وعندما آكتملت استعدادتها بادرت الى اختراق حدود الدول المجاورة.

### ٤. المرتكز الانساني :

الانسان هو عماد الحياة، وهو بنفس الوقت غايتها الاساس، ولانه يمتلك وحده القدرات والطاقات المبدعة والخلاقة اخذ اهميته كعنصر محرك في بناء المجتمعات الانسانية. ولانه كذلك كان هدفا ووسيلة في آن معا لكل المعتقدات والاديان والرسالات السماوية، وتختلف القدرات الانسانية من فرد الى اخر كما هي من مجتمع الى اخر.

ولان الانسان ليس بالضرورة ان يكون دائما صاحب سلوك ايجابي تجاه كل القضايا والمشكلات التي تواجهه، لذلك نجد الافراد الذين يكونون مجتمعا ما مختلفون في سلوكهم وردود افعالهم تجاه القضايا المختلفة، وبناء عليه نجد الكثير من الشعوب قد خذلت انبياءها وقادتها ومعتقداتها، ولنا في القران الكريم خير دليل على ذلك فقد تخلى بنوا اسرائيل عن نبيهم لانهم لم يكونوا اصحاب سلوك ايجابي نحو المعتقد الذي جاءهم به ولذلك قالوا له:- "اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون"وهذا يتناقض مع الرسالات السماوية وغاياتها ودور الانسان فيها، قال الله تعالى في كتابه العزيز:" اني جاعل في الارض خليفة"[١] اذن فالانسان هو خليفة الله في الارض، ولن يكون كذلك الا بتفاعله الايجابي مع حقائق الكون والحياة.

ان السلوك السلبي من قبل بني اسرائيل جعل منهم شعبا ليس مؤهلا لتحمل مسؤوليات انسانية بمستوى الرسالة المحمدية وشموليتها

---

([١]) سورة البقرة الآية (٣٠)

وجسامة مسؤولياتها لذا كان لابد لهـا وان تصـادف اناسـا لديهـم الاسـتعداد لتحمل تبعاتها، وفعلا صادفت مبتغاها بين الرجال الذين امنوا بها وضحـوا من اجلها.

لقد آمن هؤلاء الرجـال بـان الرسـالة المحمديـة يجـب ان تسـتمر دون انقطـاع فيها، او انقطـاع عنها بغيـة ايصـال الايمـان بهـذه العقيـدة الـى مبتغاه. فادركوا ان الصعوبات في كل درجاتهـا وفـي كـل مسـتوياتها وفـي تباين انواعها، ما هي الا الرديف الذي لا بد منه لتحقيق المبادئ العظيمـة. لان المصـاعب فـي درجتهـا تعطـي وصفـا لمعنـى المبـادئ التـي يحملهـا المؤمنون، فكلما كانت الشعارات صغيرة والمبـادئ متواضعـة وتصوارتهـا محدودة، والخيال الذي يبنى حولها قصـير المـدى، كلمـا عـزت فـي سـبيلها التضحيات وتلاشت، وكلما كانت الاهداف عظيمة وكان الخيال الـذي يبنـى حولها بعيد المدى عظمت التضحيات وازدادت المخاطر. والخيال ليس هنا خيالا طوبائيا وانما خيال المجهادين المؤمنين بحتمية انتصار المبادئ.

لقد ايقن هؤلاء المؤمنين ان المبادئ عندمـا تنتصـر فانهـا سـتغير واقع الامم، وسيكون هذا التغيير تغييرا نوعيا عميقا وشاملا، يمتد في تأثير معانيه الى زمن طويل لاحق، ولن يبقى كمكتسب لمرحلة، وضمن اطاراها فقط. والدارس لتاريخ اولئك الـرواد لا بـد لـه وان يلحـظ بوضـوح صـدق نواياهم وعمق ايمانهم.

فلـو تتبعنـا اثرهـم لرأينـا مسـتوى الايمـان والثبـات والبطولـة والتضحية والولاء وحجم الدور الذي نهضوا بـه لتحريـر البشـرية بأسـرها

من وثنية الضمير وضياع المصير، هؤلاء الرجال امثال سعد بن ابي وقاص وابو عبيدة وجعفر وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم[1] الذين نرى فيهم صور العظماء من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ابطال وجنود اعظم حقبة من حقب النضال الانساني عامة والعقائدي خاصة، تلك الحقبة التي تهدم بها العالم القديم تحت مطارق الحقيقة.

لقد عاشوا ظروفا لم تكن في ظاهرها قادرة على ان تجعل منهم ما استطاعوا فيما بعد ان يكونوا، ولكن جذوة الايمان الحقيقي جعلت منهم رجالا بناة لعالم جديد رائع، وهذا هو الدرس الاساس الذي علموه للبشرية جمعاء، فالحق والخير كانا جوهر الدور الذي قاموا به والايمان الصادق الشجاع كان نهجهم وسبيلهم، لذلك رأيناهم يملئون الضمير الانساني نورا ورشدا، فليس للحق عندهم سوى وجه واحد يعرفونه ويتبعونه، وهذا ما جعلهم اصحاب الطريق الواحد فلا تردد ولا نفاق ولا كبر ولاغرور.

فهذا قتيبة بن مسلم الباهلي من نوابغ القادة المعدودين الذين انجبتهم الامة العربية في صدر الاسلام. وكان يلي خرسان لملوك الدولة الاموية، فخرجت بها خارجة اهمته فقيل له:" ما يهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن ابي مسعود فانه يكفيكهم ". فأبى، وقال:" لا... ان وكيعا رجل به كبر يحتقر اعداءه ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غره".

---

(1) خالد، خالد محمد، رجال حول الرسول،(دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع بيروت )

فهذه كلمة من كلمات القائد العربي، تنبأ عن ملكة القيادة فيه، وتنبأ عن ملكة السيادة في الامة التي نشأ منها واستطاعت بها ان تسوس الامم في الحرب والسلم، سياسة للنجاح والبقاء، فالحق ان شروط القيادة على وفرتها وعظم التبعة فيها جميعا، ليس يوجد بينها ما هو الزم للقائد من القدرة على سبر قوته وسبر قوة خصمه. وكل ما عدا ذلك فانما هو ترتيب لما يصنعه بقوته وما يتوقع من القوة التي ينازلها ان تصنعه.

وقد كانت لهزيمة الدول امام العرب، اسباب كثيرة، منها ضعف العقيدة، واختلال النظام، ونقص القيادة، ولكن البلاء الاكبر انما حاق بتلك الدول من آفة الغرور الباطل والاستخفاف بالخصم المقاتل، وقد اعد الاسلام اتباعه اعداد ماديا وروحيا، وبين لهم الغاية التي من اجلها يعملون ويقاتلون فجعل القتال في سبيل الله ولمصلحة البشرية جمعاء، أي جعل منه رسالة انسانية دينية ودنيوية هدفها الدفاع عن المظلومين والمستضعفين واخراج الناس من عبادة البشر الى عبادة رب البشر.

وحتى يكون كذلك فقد قيض الله لهذه الرساله قيادات حكيمة واعية مخلصة وجند مؤمنين بهدف رسالتهم وعدالة قضيتهم واستحقاقها للتضحية بالنفس والمال غير ابهين لعدد عدوهم او كثرة عدته وتنوعها، فقد ثبت لديهم بالتجربة الحية ان رجلاً مؤمنا يستطيع ان يواجه عددا من الرجال ضعاف الايمان وينتصر عليهم. وروح القتال في الاسلام مفهوم شامل ينطوي على صفات الجند واخلاقهم وحسن انتظامهم وصبرهم

واخلاصهم وطاعتهم لقادتهم وشجاعتهم، وهذه الصفات جميعها تجعل من الفرد يقدم على الحرب بعزيمة الرجال وقوة الابطال.

ان روح القتال، هي طاقة او قدرة روحية لا نفاذ لها، ومن هنا حرص الاسلام بان يكون الاعداد الروحي لجنوده يسير جنبا الى جنب مع الاعداد المادي. لقد سعى الاسلام الى ترسيخ المبادئ السامية في نفوس اتباعه ومقاتليه وكان من اهم هذه المبادئ مبدأ الثبات على الحق او على المبدأ، فالمسلمون لم يخوضوا معركة مع اعدائهم الا من اجل احقاق الحق وازهاق الباطل، وقد لاقوا في سبيل ذلك المشقات، وواجهوا المحن والعقبات ولكنهم لم يفقدوا لحظة ايمانهم بمادئهم وقيمهم، ولذلك نصرهم الله على عدوهم وثبت اقدامهم. قال تعالى: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون "وقال تعالى: " ياأيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ". ومن هنا تتضح فضيلة الصبر والتقوى في نفس المسلم، فهما سلاح يتسلح به المجاهد المقاتل في سبيل الله.

ومع اننا الان ندرك ان الصعوبات التي واجهها اولئك الرجال هي صعوبات غير اعتياديه على جيل من الاجيال، الا اننا نرى انها كانت ضرورية لكي يقطف ذلك الجيل من الرجال معانيها الكبرى.

ان الاهداف والمبادئ انما تتحقق ابتداءا داخل النفس عندما تعاني معاناه صادقه وان هذه المبادئ تنتشر من داخل النفس الى ما حولها عندما يكون الايمان بها عميقا وحقيقيا، لان الايمان يكون مؤثراً في الوسط القريب ابتداءً ثم ياخذ تاثيره في الامتداد الى الابعد، فالابعد منه. لذلك فان

ذلك الجيل من المؤمنين الذي تحمل مسؤولية العقيدة وتبعات انتشارها على عاتقه, والذي وقعت عليه كل الصعوبات وتحمل مشاقها لا بد وان يتمتع بمكانة لائقة عند الله والناس، ويتمتع بمكانة لا تضاهيها مكانة في التاريخ، وفي معاني النماذج التي يحكى عنها ويتشبه بها المؤمنون من اقصى بقاع الارض الى اقصاها ولزمن طويل.

وان هذا المكسب لن يكون حكرا على اشخاص وان كانوا هم رموزه وصانعوه, وانما سيكون مكسبا عاما للانسانية جمعاء. لقد آمن رجال محمد (ص) بأن الحياة والمبادئ والتاريخ لا تصاغ عن طريق القوة المادية فقط, على اهميتها في موازين القوى، ولكن للجانب المعنوي دوره الفاعل والحاسم ايضا. ولذلك كانوا بقوتهم المعنوية اقوى مما هم عليه في حقيقة الحسابات المادية. فواجهوا مسؤولياتهم انطلاقا من عقيدتهم كمنهج عمل واسلوب حياة, ونجحوا في تحقيق اهدافهم كخير من نجح او تحمل المسؤولية. هؤلاء الرجال هم الذين ارتضى لهم رب العالمين ان يتحملوا مسؤولية نشر دعوته، واعلاء كلمته لانهم جديرون بالمسؤولية ومبدعون في حملها فوضعوا لانفسهم اطار عمل يتلائم وطبيعة المسؤولية الملقاة على عاتقهم، فكانوا تعرضيين في استراتيجيتهم لانهم كانوا مؤمنين بهدفهم وخير من يعرف اساليب تحقيقه فجاء قوله تعالى:"كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". [1]

---

([1]) سورة ال عمران، الآية (١١٠)

هذه هي اهم المرتكزات التي انطلقت منها الاستراتيجية العظمى للدولة الاسلامية، اردنا بيانها وتوضيحها حتى يكون لدى القارئ الاساس اللازم الذي يمكنه من الانطلاق معنا ونحن نحاول التعرف على الاستراتيجية الاسلامية العظمى والعسكرية، دون ان يكون هناك أي تضارب او شك ونحن نتحدث عنها. فهذه الاسس او المرتكزات هي التي اعطت للاستراتيجية الاسلامية ملامحها الرئيسة وحددت لها اهدافها واساليبها، وتركت للقيادات الاسلامية الاختيار من بين البدائل المتاحة للوصول الى غاياتها.

## ثانيا: طبيعة الستراتيجية الاسلامية:

سبق وان ذكرنا، ان أي استراتيجية تتكون من الاساسيات التالية:

١. الاهداف.

٢. الوسائل والاساليب.

٣. الخطط اللازمة.

وعلى هذا الاساس فان التفكير بأي استراتيجية شاملة او فرعية، لا بد وان يأخذ هذه المقومات بعين الاعتبار من اجل التعرف على طبيعتها وتمييزها عن غيرها من الاستراتيجيات، والحكم عليها.

ان أي قيادة سياسية لا بد لها وان تحدد اهدافها بصورة متوازنة ومتناسبة مع القدرات المتاحة للدولة حتى تكون هذه الاهداف ممكنة التحقيق، وهذا هو منطق البناء الاستراتيجي[1] وتأسيسا عليه فانه اذا حاولنا التعرف على اهداف الدولة الاسلامية لوجدنا هذه الاهداف تختلف عن اهداف غيرها من الدول الاخرى، وهذا عائد الى ان هدف الدولة الاسلامية المتمثل باعلاء كلمة الله في الارض لم تتم صياغته من قبل أي قيادة سياسية، فهدف هذه الدولة قد تحدد بأمر الهي وليس بناء على اجتهادات انسانية او تقديرات بشرية.

وعندما حدد هذا الهدف في مراحل قيام الدولة الاولى، لم يكن هناك أي تناسق بين الهدف والموارد المتاحة للدولة الاسلامية، ولذلك بدا وكأنه خارج منطق البناء الاستراتيجي السليم وبناء عليه فان استراتيجية المراحل هي التي بدت ممكنة في حينه وتتناسب مع قدرات الدولة المتاحة،

وهذا يعني وضع سلسلة من الاستراتيجيات والاهداف المرحلية التي يساهم تحقيقها في الوصول الى الهدف الشامل.

ومع ان هدف الدولة الاسلامية قد اشتق من الرسالة الاسلامية التي انزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الا ان ذلك لا يمنع من القول بأنه الى جانب هذا الهدف كان هناك اهدافا سياسية واقتصادية واجتماعية اخرى سعت القيادات الاسلامية الى تحقيقها، بحيث كان لها في هذا المجال الحرية في وضع الاولويات واختيار الاهداف الفرعية. فقد سعى المسلمون على سبيل المثال، الى توسيع رقعة دولتهم الجغرافية، وتنمية مواردهم الاقتصادية، وتطوير دورهم السياسي العالمي بحرية تامة ومن خلال اهداف فرعية منتقاة كانت ستقود حتما اذا ما تم تحقيقها الى الغاية التي يسعون لتحقيقها.

هذا في مجال الهدف الحيوي للدولة الاسلامية. اما عن الوسائل والاساليب التي استخدمت لتحقيق الهدف واوليات استخدامها. فكأي استراتيجية اخرى كانت استراتيجية الدولة الاسلامية تنطوي على ثلاث استراتيجيات فرعية: الاستراتيجية السياسية، والاقتصادية والعسكرية وقد حددت هذه الاستراتيجيات في مصادر التشريع المختلفة ويمكننا توضيحها بايجاز على النحو التالي:

١. **الاستراتيجية السياسية**: اعتمدت هذه الاستراتيجية على اساليب الاقناع في تحقيق الهدف، وذلك من خلال دعوة الحكام وقادة الشعوب الى الاخذ بمبادئ الدعوة الاسلامية وتحرير شعوبهم من الجهل والشرك بعد ان بينت لهم فضائل الاسلام ومردوده الايجابي على

مجتمعاتهم. وقد بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام هذه السياسة عندما ارسل وفوده ورسله ودعاته الى ملوك وامراء الدول يعرض عليهم الاسلام، وطلب منهم ان يسمحوا لهؤلاء الدعاة بحرية القول والنشر والاتصال بالشعوب. وقد سار الخلفاء الراشدون فيما بعد على هذه السياسة.

٢. **الاستراتيجية الاقتصادية:** وهي استراتيجية مكونة من شقين، الاول وضع العدو تحت ظروف اقتصادية غير مناسبة قد تجعله يعيد التفكير فيما عرض عليه حول فكرة الاسلام. وهي احدى الوسائل التي قد تعيد العدو الى رشده بفعل الضغط الاقتصادي والنفسي الذي يمارس عليه. ولذلك كنا نشاهد القيادات الاسلامية على مختلف مستوياتها تضع ثلاث خيارات امام اعدائها او المشركين بها هي: الاسلام، اودفع الجزية، او الحرب، وهي مرتبة حسب اولويات استخدامها.

اما الشق الثاني لهذه الاستراتيجية فقد كان يتعلق بالمسلمين، فالاموال التي يحصلون عليها من الجزية وما يتم التبرع به من قبل المسلمين الاغنياء، وما يتم الحصول عليه من غنائم الحروب كان وسيلة الدولة الاقتصادية لتحقيق اهدافها. فعملية تمويل القوات كانت عملية اساسية في الدولة الاسلامية، وقد سمعنا الكثير عن بعض الذين تبرعوا لتجهيز حملات عسكرية بالكامل. ان شقي هذه الاستراتيجية متكاملين لا نستطيع ان نفصل بينهما.

٣. الاستراتيجية العسكرية: وهذا ما يمكن تسميته بالعمل العسكري الذي يعتمد القوة اساسا لازالة الحواجز التي تقف في وجه الدعوة الاسلامية. فاذا ما وقف الحكام والملوك وقادة الشعوب من الدعوة موقف العداء، كان لا بد للمسلمين من ان يعملوا على ازالة هذه الحواجز باللجوء الى القوة، ولذلك خرجت جيوش الفتح الاسلامي للقيام بمهمة تحطيم هذه العقبات.(١٠)

وقد كانت جيوش المد الاسلامي تتألف من قسمين رئيسيين هما: فرق الجهاد العسكري التي عملت او ستعمل للقضاء على الطبقة الحاكمة المتسلطة. والفرق الدينية التي يأتي عملها بعد حسم الصراع بالقوة. وهدفها تحرير الحياة الاجتماعية للشعوب، واسقاط الانحرافات الفكرية، وتسمى هذه المرحلة مرحلة اخراج الشعوب من حياة الشرك والجاهلية واعدادها اعدادا اسلاميا.

هذ الوسائل الثلاثة كانت تمثل عماد الاستراتيجية الاسلامية الشاملة، وكلها كانت تهدف الى تحقيق نفس الهدف، وبذلك تكون مكونات الاستراتيجية الاسلامية هي نفسها مكونات الاستراتيجية المعاصرة لاي دولة، الا ان الاستراتيجية الاسلامية قد تميزت بمايلي:

أ. ثبات الهدف وديمومته، ان هدف الدولة الاسلامية هو اعلاء كلمة الله في الارض وهذا الهدف حدد من قبل رب العالمين. ولذلك فانه ثابت منذ مطلع الرسالة وحتى يملك الله الارض ومن عليها.

وثبات هدف الرسالة الاسلامية فيه حكمة وعبرة اراد الله بتحديده نزع أية غاية شخصية او انسانية عنه وبقاء العمل الدنيوي

والقرارات السياسية ترتبط بصورة تامة وغير منقوصة بسعادة البشرية ورقي المجتمعات الانسانية. لان الانسان هو خليفة الله في الارض وجدير بهذا الخليفة ان يكون خليقا بما اوكل اليه. فمقادير البشر والمجتمعات لا يجوز ان تبقى بيد اشخاص يتحكمون بمستقبلها ومصائرها دون ضابط. ان ثبات الغاية او الهدف الرئيسي للدولة الاسلامية لم يمنع قياداتها السياسية والدينية من الاجتهاد في الاهداف الفرعية التي تقود للغاية الرئيسية، وهنا تكمن مرونة الهدف في الاستراتيجية الاسلامية.

وبناء عليه فان خيارات القيادة السياسية والدينية خيارات مقيدة في هذا المجال، وهي بذلك تختلف عن غيرها من القيادات السياسية الاخرى التي تمتلك حرية الاجتهاد وتحديد الاهداف وفقا لمقتضيات تصوراتها السياسية.

ب. الوسائل واولويات استخدامها: تستخدم وسائل تحقيق الهدف في الدولة الاسلامية وفق اولوياتها التي جاءت بها، واولويات الاستخدام محددة تبدأ بالسياسة ومن ثم بالاقتصاد واخيرا بالحرب. والمتمعن في هذا الترتيب يلاحظ التسلسل المنطقي في شدة وسائل الضغط، فهي تبدأ بضغط سياسي معنوي تنتقل بعده الى ضغط مادي مؤثر ثم تنتقل الى الدرجة الحاسمة من الضغط المادي والمعنوي باستخدام القوة وهو ما تفتقر اليه الاستراتيجيات المعاصرة، فالمتتبع لاستراتيجيات الدول العظمى في الوقت الراهن يلاحظ ان هدف هذه الدول يتمحور حول مصالحها اولا دون النظر لمصالح الاخرين، وان كانت هناك مراعاة من نوع ما فهي ثانوية توضع للتغطية على الاهداف الحقيقية للدول الكبرى. اما عن وسائل تحقيق

الهدف فيلاحظ راهنا ان الوسيلة التي تحقق الهدف كاملا هي الوسيلة المفضلة على غيرها بغض النظر عن الدمار والهلاك الذي يصيب الاخرين، فشتان بين استراتيجية غايتها سعادة الانسان واخرى غايتها شقاء الكثرة لاسعاد القلة القوية المسيطرة، استراتيجية تهدف الى النهب، والسلب، والقتل، والتدمير، واستراتيجية غايتها البناء والاعمار واسعاد الانسان والمحافظة على كرامته، وانسانيته، وهنا تأتي الميزة الفريدة التي تغلف عناصر ومكونات الاستراتيجية الاسلامية بغلاف الخلق الكريم، والمثل العليا، ولا اعتقد بأن وصية ابي بكر - رضي الله عنه - لجيوشه، وقصة ابي عبيدة مع اهل حمص بخافية على احد. (١)

وهي بذلك تختلف عن الوسائل المستخدمة في الدول المعاصرة التي تتبنى تطبيق الخيار الامثل وفق ما تقتضيه مصالحها القومية دون أي اعتبار لاولويات الوسيلة المستخدمة.

اما عن وضع الخطط التنفيذية فقد ترك فيها الخيار للقيادة السياسية للدولة، بحيث يتم التخطيط وفق ما هو مطلوب لتحقيق الهدف، وهي بذلك تلتقي مع الاستراتيجيات الاخرى، وبذلك تتصف الاستراتيجية الاسلامية بثبات الاهداف ومرونة التخطيط والتنفيذ وترتيب الاولويات.

لذلك يبدو واضحا من خلال الاهداف والمرتكزات سابقة الذكر، ان طبيعة الاستراتيجية الاسلامية هي بالضرورة استراتيجية تعرضيه، تسعى لاعلاء كلمة الله في الارض ورفع شأن الانسان خليفة الله في هذه

---

(١) الجنرال، اكرم، سيف الله خالد بن الوليد (ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٢م.

الارض، وبهذا المفهوم تصبح الضرورة التعرضية للاستراتيجية الاسلامية ضرورة انسانية حياتية لا غنى عنها. ومن هنا يأخذ مفهوم التعرض والميل الى الحسم بالقوة اسلاميا مفهوما حياتيا راقيا، يترفع عن الرغبة في سفك الدماء من اجل تحقيق اهداف انانية ضيقة او مصلحة خاصة كما هو شأن الكثير من القوى العالمية في هذا الزمن، لان التعرض واستخدام القوة في الاستراتيجية الاسلامية هو مفهوم حضاري تحت كل الاعتبارات لانه ينطوي على كل المضامين الانسانية سابقة الذكر. (١)

وفي هذا الصدد، وبالرغم من كل الاهداف الانسانية التي تسعى الاستراتيجية الاسلامية الى تحقيقها عن طريق حسم الصراع بالقوة، الا ان هذا الاسلوب لا يتم اللجوء اليه كخيار وحيد واولوية اولى تقتضي المبادرة بالاستخدام، بل يتم اللجوء اليه كوسيلة اخيرة وبعد ان تستنفذ الوسائل السياسية والاقتصادية اغراضهما.

ان ما يؤكد على الطبيعة التعرضية لهذه الاستراتيجية هو القرار السياسي الذي اتخذه ابو بكر مباشرة بعد ان تمكن من القضاء على حركة التمرد الداخلي على السلطة السياسية والدينية في الجزيرة العربية، بحيث كان هذا القرار يجسد عمليا تبني الدولة الاسلامية لخيار الحسم العسكري من اجل تحقيق اغراضها. ومع ذلك ظلت القيادات الاسلامية تطرح على اعدائها قبل كل معركة الخيارات السلمية التي تمنع الحرب وتحقق الهدف. ولذلك كان امام القيادة العسكرية الاسلامية خياران لتحقيق الهدف هما:

١. خيار استخدام القوة بمفهومها المادي المطلق.

٢. التهديد باستخدام القوة الذي يجبر الطرف الاخر على الاذعان للخيارات الاخرى. وهذا ما ذهب اليه كولينز في تعريفه للاستراتيجية العسكرية المعاصرة. ومن خلال ذلك يتضح ان القيادات العسكرية الاسلامية قد طبقت المفهوم المعاصر للاستراتيجية العسكرية منذ زمن بعيد.

ان القرار الحاسم الذي اتخذه ابو بكر بمواجهة قوات الامبراطورية الفارسية وحسم الصراع معها عن طريق استخدام القوة، قد جاء بعد ان استخدمت الوسائل السياسية مع هذه الامبراطورية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الا ان الامبراطور الفارسي كان قد رفض ذلك، وبعملية الرفض هذه جعل ابا بكر يلجأ الى الوسائل الاخرى المتاحة بين يديه لتحقيق هدف الدعوة. فكان الخيار العسكري هو الخيار المتاح.

اما عن ميزات الاستراتيجية الاسلامية فقد سبق وان اشرنا الى اهمية توازن الاهداف مع الامكانيات المتاحة للدولة. ولان الدولة الاسلامية لم تكن دولة قوية على الصعيد العسكري والاقتصادي منذ نشأتها، لذلك نجد انها قد تبنت فلسفة سياسة المراحل التي ميزت استراتيجيتها منذ مطلع العصر الراشدي، والتي سعت من خلالها لتحقيق الاهداف المختلفة وصولا الى الهدف النهائي. وهذا هو الحل الامثل والاسلوب الاجدى في ظل الظروف الراهنة التي كانت تعيشها الدولة، ولهذا السبب احتلت قوات خالد بن الوليد الحيرة وحققت هدفها المنشود وامنت الجناح الشرقي للقوات الاسلامية في مسرح عمليات بلاد الشام، ثم انتقلت بعدها مباشرة لعبور مرحلة اخرى متقدمة مع قوات الامبراطورية الرومانية. وهكذا استمرت

استراتيجية ابي بكر على هذا النسق طيلة فترة خلافته والفترات التي تلتها.
الا ان ما يستحق الملاحظة هو التطور الحاصل على حجم الاهداف بين المرحلة والاخرى والذي كان مرافقا لكل تطور يحصل على قوة الدولة الاسلامية، فشاهدنا على سبيل المثال سقوط الحيرة كمرحلة اساسية لهزيمة الامبراطورية الرومانية، وهذه الاخيرة كضرورة لهزيمة الفرس اللاحقة في القادسية وهكذا.

هذه الميزة رافقتها ميزة اخرى لاستراتيجية الدولة الاسلامية تمثلت بتبني ما يطلق علية في وقتنا الحاضر " الحروب الوقائية" والتي تدعي اسرائيل وغيرها من الدول بانها صاحبة السبق في هذا المجال بينما تبناها المسلمون قبل ما يزيد عن ( ١٤) قرن من الزمن.

فالامبراطورية الفارسية في عظمتها وما تملكه من جيوش واسباب القوة، لم تكن قد قامت باي اعتداء على الدولة الاسلامية عندما اتخذ ابو بكر قراره الخطير بمواجهتها. كما ان هذه الدولة لم تحاول ان تهدد او تعمل على التدخل في شؤون الدولة الاسلامية الداخلية او اثارة العنف على حدودها، اضافة الى انها لم تتحالف مع أي قوة حتى تاريخ اتخاذ القرار بشن عدوان مسلح ضد الدولة الاسلامية، علما بأنه كان من الممكن لها ان تتحالف مع بعض العناصر المرتدة اثناء الفتنة الداخلية. (١)

ان عدم تدخل دولة الفرس والروم في شؤون الدولة الاسلامية، لايعود في الواقع الى رغبة هاتين الدولتين الصادقة بالعيش في سلام مع الدولة الاسلامية الناشئة، ولكنه يعود في الحقيقة الى الاسباب التالية:

١. عدم تقدير هاتين الدولتين لقوة الدولة الاسلامية الناشئة تقديرا صحيحا، والجهل في مستوى التطور الذي حصل على قوة الدولة وبالتالي عدم توقع قيامها بشن هجوم واسع النطاق واجتياز حدود الدول المجاورة بهذه السرعة.

٢. لم تكن حالة الدولة الاسلامية والفوضى التي اعترتها اثناء عملية الارتداد تشير الى ان هذه الدولة مؤهلة للقيام باي عمل عسكري قبل ان تلتقط انفاسها بعد الحرب الداخلية العنيفة والفوضى التي عصفت بها. وبناء عليه يمكن القول بان توقيت القرار الذي اتخذه ابو بكر كان مفاجأة كاملة لكلا الدولتين.

٣. ان انتشار الفساد والظلم وتردي الاوضاع الداخلية في كلتا الدولتين قد ساهم الى حد بعيد في اتخاذ هذا الموقف من قبل الدولة الاسلامية. فالفرس كانوا يداوون جراح هزيمتهم التي منوا بها على ايدي قوات الامبراطورية الرومانية، وهذه الاخيرة كانت تعاني من الفوضى وتعدد الولاءات والتنافس على السلطة.

٤. قوة الامبراطوريتين العسكرية والاقتصادية والسياسية كانت تفوق باضعاف مضاعفة قوة الدولة الناشئة في الجزيرة العربية، ولذلك لم يخطر على بال قادة هذه الدول ان تقوم دولة ناشئة وضعيفة اقتصاديا وعسكريا باي عمل تعرضي في المدى المنظور. وهذا ما يمكن ان نطلق عليه خطا التقدير في مفهوم القوة واعتباراتها. فكلا الامبراطوريتين كانتا تعتبران ان موازين القوى تحددها المكونات المادية فقط دون أي اعتبار للنواحي المعنوية والروحية، ولذلك اعتبرتها بانها الوحيدة القادرة على

حسم أي مواجهة مقبلة، وبناء عليه فقد كان تقدير موازين القوى تقديرا بعيدا عن حقائق الواقع.

وعلى هذا الاساس فان قرار ابي بكر بالمبادرة الى اختراق حدود الدول المجاورة كان قراراً صائبا ويمثل شكلا من اشكال الحرب الوقائية المبررة. كون هذه الدول هي التي تمثل الخطر الكامل على الدولة الاسلامية والتي ستحاول تدميرها عندما يتاح لها الفرصة المناسبة. كما ان هذه الدول قد تصل بسبب اتصال مصالحها الى تنسيق عسكري فيما بينها يوجه في النهاية لتهديد هذه الدولة. اضف الى ذلك ان الدولة الاسلامية كانت تمتلك حدودا طويلة مع هاتين الدولتين، ودرءا لاي خطر مستقبلي وتقليصا لحجمه كان لابد من البدء بشن مثل هذه الحرب الوقائية. يضاف الى ذلك ان هاتين الدولتين قد سبق لهما وان رفضتا الاستجابة لدعوة الرسول (ص) للدخول في الدين الاسلامي، ومن المعتقد الى حد كبير بانهما لن تتسامحا امام حرية نشر الدعوة بين شعوبها، بل على العكس من ذلك فقد تعمل على اتخاذ كافة الاجراءات المحددة لحرية نشر الدعوة ووصولها الى اصحابها المعنيين، ومن هنا تصبح الحرب اضافة الى كونها حربا وقائية خطوة ضرورية وهامة على طريق نشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب.

لقد ادرك ابو بكر ان الحرب التعرضية الناجحة تتيح للدول فرصة نادرة للتعامل مع الشعوب بدلا من الانظمة السياسية، ولكون هذه الانظمة قد رفضت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اعتبر ابو بكر ان الوسائل السياسية قد استنفذت اغراضها ولم تعد صالحة لتحقيق الهدف،

ولذلك فانه قد جاء دور البدائل المتاحة الاخرى للتعامل مع الانظمة الرافضة لهذه الدعوة.

لقد كان قرار الخليفة بوضع الاستراتيجية العسكرية موضع التطبيق الفعلي ضد دولة الفرس والروم، يمثل في الواقع نقلة نوعية لهذه الاستراتيجية ووسائل تنفيذها، فقد ضلت هذه الاستراتيجية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تعتمد الاسلوب الهادئ في التطبيق عند تعاملها مع القوى الخارجية، وذلك عن طريق استخدام الوسائل السياسية المعروفة في ذلك العهد، ولان الامكانيات المتاحة امام الرسول صلى الله عليه وسلم كانت محدودة والبدائل الاخرى غير متوفرة، فانه لم يستخدم غير هذا الاسلوب المتاح.

لذلك كان قرار ابو بكر بشن الحرب ضد دولتي الفرس والروم بمثابة نقلة نوعية في الاستراتيجية الاسلامية وافاق الدعوة ووسائل تحقيقها، حيث نقلها من كونها دعوة داخلية ضمن نطاق الجزيرة العربية لتاخذ بعدا خارجيا مضافا.

اما عن اهم عناصر الاستراتيجية الاسلامية المتمثلة بكفاية القيادة السياسية، فقد ذكر المؤرخون قائمة تضم اسبابا عدة للانتصارات الاسلامية، وقاموا بترتيبها وتحليلها وفقا لاهميتها ودورها في تحقيق ذلك، ومن جملة هذه الاسباب توفر القادة السياسين المحنكين، الذين كانوا على دراية واسعة بفنون ادارة الدولة. ووجود قيادات عسكرية استراتيجية على معرفة تامة بالفن العسكري وادارة الصراع وخوض المعارك لا يقلون عن مشاهير قادة العصور القديمة والحديثة في عبقريتهم ونبوغهم العسكري. وقد توفرت في هؤلاء الرجال خصال العظمة، ولو ظهروا اليوم لكانوا من

العظماء الذين يتمثل العالم المعاصر بعظمتهم. لقد تخرج هؤلاء الرجال من مدرسة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، اعظم استراتيجي عرفه التاريخ فكانوا السياسين المبدعين والعسكريين الافذاذ. لقد علمهم قائدهم الكثير، ففي غزوة الخندق استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم الاستراتيجية السياسية في الحرب لاول مرة في تاريخ الدولة الاسلامية، فكانت هذه الخطوة اول تجربة في التاريخ الاسلامي يتم فيها التطبيق العملي لمثل هذه الاستراتيجية التي حققت اغراضها بنجاح منقطع النظير، حيث اظهرت مدى تفاعل السياسة مع القوة في تحقيق الهدف القومي الاعلى للدولة.

لقد سبق وان بينا ان استخدام القوات المسلحة يتم عندما تفشل الاجراءات السياسية في تحقيق هدف الدولة بحيث يصبح استخدام القوة امرا محتما اذا كانت القيادة السياسية مصرة على تحقيق اهدافها. حيث تقوم هذه القيادة عن طريق استخدامها للسياسة بتمهيد الطريق لاستعمال العنف عن طريق القوة المسلحة، فهي تهيء المسرح، وتضعف العدو، وتقلل قوته الى درجة معينة بحيث تستطيع القوة المسلحة من العمل ضده عند اقصى احتمال للنجاح.

وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم تماما في غزوة الخندق حيث استخدم السياسية باداتها الدبلوماسية لبذر الشقاق في صفوف العدو لاضعافه ليس من حيث العدد فقط، ولكن من حيث الروح المعنوية ايضا، وبالرغم من ان معظم المسلمين لم يستطيعوا ان يدركوا ذلك في حينه، الا انهم كانوا يتعلمون من قائدهم فن ادارة الصراع بمستواه الاستراتيجي.

ولذلك تخرج اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهم مؤهلون من مدرستهم النموذجية بكل احتياجاتهم الدينية والدنيوية، وان المتتبع لمواقف ابي بكر وقرارته الاستراتيجية على الصعيد الاستراتيجي الشامل، كما على الصعيد العسكري، لايملك الا ان تأخذه الدهشة من كفاءة هذا الرجل وكفاية توجهاته السياسية. ففي الرسالة التي ارسلها الى خالد وعياض بن غنم وطلب منهما التوجه لاحتلال الحيرة – سنأتي على ذكر نص الرسالة في مكان لاحق – يلاحظ فيها النظرة العميقة والثاقبة للقيادة الناجحة، والاساليب المثالية لاختيار القيادات لتحمل المسؤولية في الدولة، فقد اكدت الرسالة على العناصر الرئيسية التالية:

١. القيادة للأكفأ عسكرياً، ولذلك جعل من اولوية الوصول الى الحيرة الحكم الامثل على القيادة الافضل.

٢. لقد طلب ابو بكر من خالد وعياض ان تتكون قوة الفتح الاسلامي من الجنود الاكفياء الذين يمتلكون الرغبة الاكيدة في نشر الدعوة ولديهم الاستعداد للشهادة في سبيلها، ولذلك طلب منهم عودة كل من ليس له رغبة من المقاتلين في التوجه الى العراق، واكد لهم على عدم مشاركة المرتدين في عمليات الفتح. لانه ما دام الهدف بهذا الحجم من الخطورة فلا بد من ان تكون الحاجة تتطلب رجالاً من هذا الحجم تمسكوا بدينهم واخلصوا لعقيدتهم.

اذا فان الكفاءة كانت عنصرا اساسيا من العناصر التي ركزت عليها الشريعة الاسلامية، ليس على مستوى القيادات فحسب، بل وعلى مستويات ادنى من ذلك كما يتضح من رسالة الخليفة.

وعلى الرغم من انه لم يعرف عن ابي بكر قيادته للجيوش وخوضه للمعارك الا انه اظهر في ادارته للدولة الاسلامية انه رجل استراتيجي بالفطرة، ولذلك كانت قراراته وتصوراته وخططه على درجة عالية من الصواب ولا تصدر الا عن رجل كفؤ.

## ثالثا : مميزات الاستراتيجية العسكرية الاسلامية:

تميزت الاستراتجية العسكرية الاسلامية بمميزات متعددة اهمها:-

١. التعرض العنيف:

كان التعرض العنيف من اهم ميزات الاستراتيجية العسكرية، فابادة قوات العدو كان هدفا رئيسيا من اهداف عمليات التعرض الاسلامية، وكان عدم الحرص على اخذ الاسرى الوجه الاخر لهذه الصفة، فقد اوصى عمر بن الخطاب قائده سعد بن ابي وقاص بقوله:" ولا تؤتي باسير ليس له عقد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك" [١].

وقد املت الضرورات الاستراتيجية هذا الاسلوب من التعرض حتى لا تترك الفرصة لهروب الاعداد الكبيرة من الاعداء بحيث يشكلوا مقاومات جديدة، وكان خالد بن الوليد اول من استخدم هذا الاسلوب وطبقه على نطاق واسع ضد امبراطوريتي الفرس والروم، ولهذا السبب كنا نرى وقوع الاعداد الضخمة من اعداء المسلمين قتلى في المعارك. وقد كان اسلوب الابادة احد عوامل الحرب النفسية التي استخدمتها القيادات الاسلامية لتحطيم توازن القوى الذي لم يكن ابدا لصالح المسلمين في جميع معاركهم.

وقد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريضة بعد اسرهم، وقتل عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) معيد بن وهب بعد اسره في بدر.

---

(١) نوفل، احمد، الحرب النفسية من منظور اسلامي (دار الفرقان للنشر والتوزيع، الكتاب الثاني ١٩٨٥ ص٢٠٢)

٢. الحرب الوقائية:

فالحرب الوقائية في الاسلام تجاوزت في مفهومها المفهوم المعاصر للحرب الوقائية، ففي الوقت الراهن فان الصورة التقليدية لهذه الحرب ترتكز على مبدأ القيام بمهاجمة قوات العدو عندما تبدأ عملية حشدها العسكري، الا ان المفهوم الاسلامي لها قد اخذ بعدا مضافا لا يعتمد حدوثه على مظاهر الحشد المادي لقوات العدو، ولكنه يمتد ليصل الى النوايا العدوانية المبيتة لدى العدو ومحاولته تدميرها والقضاء عليها قبل الخروج الى حيز العلن، كما حصل في حروب الفرس والروم.

٣. الردع:-

قال تعالى:" فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم" بمعنى ان الشدة والغلظة في الحرب لا تهدف الى ردع وزجر الاعداء الذين تحاربهم بل ايضا مدمرة لاطماع سواهم الذين يقفون من ورائهم.

وقال تعالى: "ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض، "بمعنى الابتعاد عن الحرص على جلب الاسرى وتحريض على زيادة عدد قتلاهم، لانه يوقع الياس في نفوسهم ويضعف من معنوياتهم. وقال تعالى:"يا ايها النبيَ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" وهنا دعوة واضحة من الله لرسوله بعدم الشعور بالرحمة والرفق تجاه المنافقين، بل يجب ان يواجههم بالشدة والغلظة.

وقال صلى الله عليه وسلم:" نصرت بالرعب مسيرة شهر".

يستخلص مما تقدم ان مفهوم الردع جزء من النظرية الاستراتيجية الاسلامية، ويفهم ايضا من الرعب ان اظهار القوة المادية والمعنوية للاعداء سبب رئيسي في ردعهم واخافتهم، وقد يؤدي الى تحقيق بعض الاهداف دون اللجوء الى استخدام وسائل المواجهة الاخرى.

والمدهش ان نظرية الردع في الفكر العسكري الاسلامي تعتبر في الوقت الراهن احد اعمدة الاستراتيجية العسكرية المعاصرة التي وصلت اليها الجيوش الحديثة بعد معاناة قاسية طويلة.

وهكذا تميزت استراتيجية الدولة الاسلامية بكونها استراتيجية ردعية، والردع كما هو معروف هو عبارة عن منع الدول المعادية من اتخاذ قرار باستخدام قواتها للتدخل او الرد ازاء عمل معين، وذلك باتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بتشكيل تهديد جدي للدولة المعادية يكون كافيا لردعها.

وقد حض الاسلام اتباعه على تبني خيار الردع والعمل به، ومن هذا المنطلق امر باعداد القوة في المجتمع الاسلامي اعدادا سليما كافيا لتحقيق ذلك. ونعني بالاعداد السليم هنا، اعداد المجتمع الاسلامي اعدادا ماديا ومعنويا يجعل منه قوة مرهوبة الجانب. ولذلك خاطب سبحانه المسلمين بقوله:" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم"، يتضح من قوله تعالى بان هناك تميزا واضحا بين مفهومين للقوة. الاول مفهوم القوة ببعده المعنوي. والثاني مفهوم القوة ببعده المادي. وان أي اعداد لا يأخذ هذين البعدين يكون اعدادا ناقصا. فالقوة ورباط الخيل اشارة واضحة

الى القوة ببعدها الشامل الذي يتضمن القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والحضارية والعلمية والمعنوية في المجتمع، ومن ذلك يتضح بأن مفهوم الاعداد الاسلامي للقوة عبارة عن مفهوم شمولي يتعامل مع القوة بكل معانيها وابعادها. كما يتضح من الاية الكريمة ان للاعداد هدفا هو ارهاب العدو والقاء الرعب في نفسه، وهذا ما ينطبق على مفهوم الردع المعاصر بكل درجاته ومستوياته، فهو يحقق الردع ضد عدو مباشر واخر متخفي لديه نوايا عدوانية.

وكما سبق وان بينا فان استراتيجية الدولة الاسلامية هي استراتيجية تعرضية، ولذلك فان اسلوب الردع ليس سوى جانب من جوانب هذه الاستراتيجية، فاذا حققت استراتيجية الردع الوصول الى الهدف المنشود فانها بذلك تكون قد حققت هدف الاستراتيجية، اما اذا لم تحققه فانها ليست بصالحة ولابد من استخدام الاشكال الاخرى[1].

ومما يدل على نجاح نظرية الردع في العسكرية الاسلامية ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاد بنفسه سبعا وعشرين او ثمان وعشرين غزوة. قاتل في تسع منها فقط. وفر المشركون في تسع عشرة غزوة دون قتال.

**٤. العزل:-**

بمعنى عزل مسرح العمليات لمنع أي امدادات للعدو، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك في غزوة خيبر عندما نزل بواد الرجيع ليقطع الطريق على أي امداد يأتي الى يهود خيبر من قبيلة غطفان، التي كانت تظاهرهم

---

(1) اسعد، والخلفات، مرجع سابق ص٨٦

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على ان لايواجه الاعداء جميعا في وقت واحد، فاذا تجمعوا لقتاله حرص على التفريق فيما بينهم.. حتى اذا مكنته الفرصة بطش بأقواهم ثم بمن بعدهم[1]، ان قضية البطش بالاقوى هي من العمليات الحاسمة في الحروب، فسقوط الموقع الاقوى، لابد وان تتبعه انهيارات متوالية للمواقع الاضعف بعد ان تهتز اركانها وتفقد سندها الاقوى ومعركة الخندق خير دليل على قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على التفريق بين يهود المدينة وقبائل الجزيرة وقريش التي حاصرت المدينة.

وقد اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سياسة العزل بصورة كبيرة فقد عمل على عزل قريش عدوه اللدود عن باقي القبائل العربية ليمنع عنها العون والمدد. فاتبع اسلوب عقد الاتفاقيات والمعاهدات وهو ما يسمى اليوم استخدام الدبلوماسية في الحرب. وقد استغل الرسول (ص) هذه المعاهدات لنشر دعوته وكسب المزيد من المؤيدين في الوقت الذي عمل فيه على ابعاد قريش عن قوى كان يمكنها ان تتحالف معها وتشد من ازرها في صراعها مع المسلمين.

### ٥. تغيير مركز الثقل الاستراتيجي:-

يمثل تغيير مركز ثقل العمليات ونقله من رقعة جغرافية الى اخرى او من مسرح عمليات الى آخر، احدى سمات الاستراتيجيات

---

(1) المرجع السابق ص١٢٩

المعاصرة، ويدل على قدرة الدول ومرونة قياداتها على العمل في كل زمان ومكان.وقد طبقت القيادات الاسلامية هذا المبدأ بنجاح تام فبعد ان قامت القوات الاسلامية بشطر هيكل الامبراطورية البيزنطية الى شطرين بعد ان استولت على سوريا ومنعت الاتصال بين الامبراطورية الام في اسيا الصغرى وما وراءها والولايات التابعة لها في مصر وشمال افريقيا، ولم يعد هناك أي اتصال بين اجزاء هذه الامبراطورية الا البحر. واستكمالا للحركة العسكرية الاستراتيجية ضد الدولة البيزنطية، غيرت القيادات العسكرية الاسلامية مركز ثقل العمليات لاستكمال النصر، وانتقلت به من مسرح عمليات بلاد الشام الى شمال افريقيا وكانت البداية في مصر.

**٦. استغلال الكيف بدل الكم:-**

لقد طور الاسلام نظرية الحرب من الكم الى الكيف، بمعنى ان القيادات الاسلامية قد ادركت ان الكيف هو الاهم في حسم المعارك مع عدم اغفال دور الكم، فبعد ان كانت المدارس العسكرية في السابق وفي وقتنا الراهن تعتمد في معاركها على العدد، أي عدد المقاتلين الذين يتم حشدهم للمعركة، وكمية السلاح المتوفرة، جاء الاسلام ليقلب هذا المفهوم ويجعل المعركة ترتكز اساسا على الكيف. أي على القدرة الفردية وامكانية المقاتل وقدرته على الصمود والعطاء في مستواه الاعلى والتضحية في سبيل رسالته، ولذلك اصبحت الحرب تعتمد لا على الرجال وكثرتهم

فحسب، وانما على قدرتهم وامكانياتهم ومشاعرهم ومعنوياتهم، فاصبحت تهتم اهتماما بالغا بشخص المقاتل وذاته.

واعتمادا على ذلك - أي نظرية الكيف - خاض الاسلام معاركه التاريخية، وكتب جنده فيها اروع واشرف صفحات القتال. فقد حارب خالد في اليرموك جيشا تعداده حوالي ربع مليون جندي روماني بقواته التي لا يتجاوز عددها ثلاثون الف مقاتل. وحارب المثنى في معركة البويب باثني عشر الفا من الجنود المسلمين جيش الفرس البالغ تعداده حوالي مئة الف مقاتل.

وفي معركة مؤتة واجه المسلمون بجيشهم الصغير الذي لا تتجاوز عدته ثلاثة الاف مقاتل واجه حوالي مئة الف مقاتل من الروم. وعلى الرغم من ادراك المسلمين لهذا التفاوت الكبير بين المعسكرين الا ان عبدالله بن رواحة خاطب افراد الجيش قائلا:" يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة. ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به، فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين: اما الظهور واما شهادة ".

ونهضت سرية مؤتة بامانتها حتى وقع في نفوس المسلمين من فرط الثقة ببأسهم انها كانت قادرة على جهاد اعظم من جهادها. وثبات اطول من ثباتها. وهي مغالاة في القوة والبأس خير من المغالاة في الضعف والخور، ولا ضرر منها ما شفعتها تلك البصيرة العلوية التي تضع الامور في نصابها، وتصف النجاح بصفاته.

## رابعا : تنظيم الجيوش ومفهوم الحرب عند المسلمين:

لقد سبق وان بينا بأنه يقع على عاتق القيادة السياسية للدولة العمل على تحقيق التوازن بين اهدافها ومكونات قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية المتاحة حتى تتمكن من تحقيق اهدافها. وتعتبر القوات المسلحة اهم عناصر القوة في أي نزاع مسلح، ذلك لكونها الاداة الرئيسية القادرة على حسمه.

وعندما ذكرنا بان استراتيجية الدولة الاسلامية هي استراتيجية تعرضية، كنا نعني ان على هذه الدولة ان تجند من عناصر القوة ما يكون كافيا للطبيعة التعرضية لاستراتيجيتها. لاننا نعرف بان أي استراتيجية اما ان تكون استرايجية تعرضية هجومية، واما ان تكون استراتيجية دفاعية، وما يقع بين هذين الشكلين من اشكال اخرى. ومعلوم عسكريا ان الاستراتيجية الهجومية بحاجة الى موارد اضافية اكثر من تلك المخصصة لاستراتيجية دفاعية.

ان الموارد الكثيرة لايجسدها في العادة كمها العددي فقط، بل عادة ما يكون للكيف العددي دورا رئيسا فيها، والامثلة على ذلك لاتحصى، ففي حرب فيتنام تغلب الايمان بالعقيدة، والتضحية من اجل الوطن والكرامة، على الكم العددي في السلاح والمقاتلين. كما ان اسرائيل لاتتفوق عدديا على دول المواجهة العربية، لا من حيث السلاح ولا من حيث عدد المقاتلين، ومع ذلك هزمتهم في كل المعارك التي خاضتها ضدهم. وفي معركة (ذي قار)[١] في التاريخ القديم، تغلب عدد قليل من

المقاتلين على جيوش امبراطورية عظيمة. كل هذه الامثلة تؤكد على ان الكم العددي على اهميته الا انه ليس العنصر الوحيد الحاسم في الصراع.

اذن فليس من الغريب او المستغرب ان تعتمد الدولة الاسلامية على جيش من المقاتلين الذين لا حدود لايمانهم بعقيدتهم، ويملكون الاستعداد والرغبة للتضحية في سبيلها حتى ولو وقفت في وجههم كل قوى الشرك في العالم. ولذلك انطلقوا باعدادهم القليلة لسحق جيوش اكبر امبراطوريتين في ذلك الزمن، وعملوا على بناء دولتهم الاسلامية على انقاضهما.

لم يحقق هذا الجيش انتصاراته، ولم يحالفه النجاح، الا لانه كان يستحق كل ذلك. فقد تميز هذا الجيش بمواصفات كثيرة، افتقدتها جيوش اعدائه، اهمها:

١. **البناء العقائدي:** لقد آمن افراد الجيش الاسلامي بعقيدتهم ايمانا مطلقا، وشعروا بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، فانطلقوا يقاتلون بدوافع دينية ودنيوية عالية التأثير.

٢. **الرغبة في الجهاد:** ان فريضة الجهاد التي فرضها الله على المسلمين جعلت منهم جيشا من المتطوعين الذين لاهم لهم سوى رضوان الله واعلاء كلمته في الارض، مما خلق لدى الجندي المسلم رغبة هائلة للقتال وحوافز عظيمة للاستشهاد. وهذا ما جعل من الجيش المسلم جيشا نادرا من المتطوعين الاشداء، وليس مجموعات من المرتزقة التي تنطوي تحت الوية الجيوش لتحقيق المنافع المادية والانية الرخيصة، فاذا لم يتحقق ذلك تركت هذا السبيل الى سبيل غيره.

**٣. جيش الشعب:** لقد كان التلاحم بين هذا الجيش وقاعدته الشعبية المسلمة كأفضل ما يكون التلاحم، مما جعل لهذا الجيش رافدا لا ينضب من المقاتلين وادوات القتال، مكنه من القيام بواجباته الملقاة على عاتقه خير قيام.

**٤. التنظيم القيادي:** تميز التنظيم القيادي لهذا الجيش ببعض المميزات التي منعته من الوقوع في امراض الجيوش الاخرى كالارستقراطية والفساد وغيرها. فالقيادة كانت عبارة عن منصب يسند لمهمة واحدة فقط، ينتهي دور صاحبها بانجاز المهمة. ولذلك فان القائد قد يكون قائدا في هذه المعركة، وجنديا مقاتلا تحت امرة قيادة اخرى في معركة ثانية. كما تميز هذا الجيش بعدم وجود نظام للرتب بين افراده ولذلك كان الجميع متساون في الحقوق والواجبات.

**٥. الالتزام الخلقي والديني:** لقد كان افراد الجيش الاسلامي جماعة من الملتزمين حد الصرامة بجميع القوانين والتشريعات التي نصت عليها شريعتهم، وهذا ما اكسبهم سمعة طيبة بين الشعوب التي حاربوها، وسهلت عليهم الكثير من المهام ومنحتهم ثقة واحترام الاخرين. كما لم يذكر عن هذا الجيش بانه قام باي عمليات نهب او سرقة اوسفك دماء كغيره من الجيوش، وقصة الجزية التي دفعها اهل حمص لابي عبيدة وغيرها من القصص تجسد مستوى الالتزام الخلقي والديني لهذا الجيش.

ان الحقيقة التي يجب ان يحترمها المؤرخون على اختلاف جنسياتهم، والتي لا مراء فيها مهما حاولوا تجاهلها او القفز عنها لاسباب

عنصرية ودينية، ان الانتصارات الاسلامية قد تحققت بفعل العوامل الرئيسية التالية:-

١. العقيدة الراسخة.

٢. القيادة الفذة على مختلف الصعد السياسية والعسكرية.

٣. شجاعة المقاتلين المسلمين واتقانهم لفنون الحرب والقتال المختلفة.

ولان الجانب العسكري هو الجانب المهم في تحليلنا هذا. ولكون العنصر الاول والثاني من العناصر التي لا تحتاج الى البرهان والدليل. فاننا سنركز على العنصر الثالث كونه العنصر الذي ثار حوله الجدل، وركز عليه المؤرخون من غير العرب. وزعموا ان كيف للعرب الذين عاشوا في الصحراء القاحلة كقبائل رحل متناحرة ان يتقنوا فن القتال والتخطيط للمعارك ويخوضوا حرب الجيوش النظامية الكبيرة وينتصروا فيها؟ ولدحض هذه المزاعم، وهذا السؤال الاستنكاري، نقول: صحيح ان الصورة الاكثر شيوعا عن القبائل العربية وحروبها لم تكن باكثر من حروب تاخذ اشكال الغزو الذي هو اقرب الى الغارة او ما يسمى بحرب العصابات التي يغلب عليها عمليات الكر والفر، ولا يحكمها نظام ولا تنتج عن خطة مرسومة. وليس فيها من الدروس العسكرية ما يمكن ان يستفيد منها أي متعلم لفنون القتال.

الا ان هذه الصورة عن طبيعة الحروب في الصحراء العربية تبدو مغلوطة ومشوشة الى حد كبير، وهي ليست صحيحة ولا تعكس الوجه الحقيقي للفن العسكري عند العرب، وقد ساهمت عوامل كثيرة في

رسم هذه الصورة، كان من اهمها عدم قيام اصحاب الاختصاص بـالتركيز علـى موضـوع الفن العسـكري عنـد العـرب قبـل الاسـلام، وظـل التركـيز منصبـا علـى النواحـي الادبيـة وبعـض الامـور الاخـرى. ممـا جعـل هـذا الموضوع عرضة للتشوية، ولذلك لم نسمع عن الحـروب العربيـة قبـل الاسـلام الا عـن معركـة ( ذي قـار)، وبعـض المعـارك التـي كـانت تـدور رحاها، بين القبائل العربية. ويعزى السـبب فـي ذلـك الـى ضمـور التفكـير عند الكثير من المثقفين العرب الذين كانوا يركزون علـى اسـباب الحـروب بين القبائل دون التركيز علـى اسـلوب القتـال او الفـن العسـكري عنـد هـذه القبائل.

فالجميع يعرف ان العـرب كـانوا يربـون ابنـائهم علـى الفروسـية وركوب الخيل واسـتعمال وسـائل القتـال المختلفـة، فيخـرج منهـم الفرسـان والمقاتلين الاشداء. ومع ان معظم القتال بين القبائل العربية قـد اتخـذ شـكل حرب العصابات، الاّ ان هذا الشكل من الحرب لا بـد لـه مـن خطـة متقنـة كما يعرف العسـكريون جميعـا. ولـه مميزاتـه التـي تميزه عـن غـيره مـن اشكال الحروب الاخرى، مثل المفاجـاة والسـرعة فـي الانقضـاض وتنظيـم القوات والتوقيت المناسب وغيرها، وهذه الميزات كلهـا مـن فنـون الحـرب الرئيسية.

اضف الى ذلك ان العرب لم يكونوا امة معزولة عن غيرها مـن الامم، فقد كان لهم اتصالهم بالدول المجاورة وتعاملهم مع شعوبها، ولا بـد انهم اطلعوا على فنون القتال وتنظيم الجيوش لدى هذه الدول او الشـعوب. فقد كان الغساسنة والمناذرة على سبيل المثال، يقاتلون جنبا الـى جنـب مـع

جيوش الفرس والروم، ولا شك بانهم اخذوا عنهم الكثير من التقاليد العسكرية المختلفة، وهذا ما اكدته معركة ذي قار قبل الاسلام، حيث تغلب فيها العرب على جيوش الدولة الفارسية. وقد اثبتت تلك المعركة ان العرب هم الابرع في قيادة الجند والاخبر بفنون الزحف والتعبئة من قادة الجيوش الاجنبية. وقد قاموا بتنظيم قواتهم الى ميمنة وميسرة وقلب ورفعوا معنويات جندهم قبل القتال، كما استخدموا الحيلة واساليب الحرب النفسية في تلك المعركة.

ومن ذلك يتضح بان العرب لم يكونوا على جهل او عدم دراية بفنون الحرب والقتال. بل العكس يكاد ان يكون صحيحا، فقد اكتسب العرب خبرتهم في قتال الصحراء ومناورات الاغارة ومزجوها بما اكتسبوه من فنون الحرب النظامية نتيجة لاتصالهم بغيرهم من الدول الاخرى. فتسنى لهم ان يجمعوا سرعة الحركة والمفاجاة التي اتقنوها في حروب الصحراء الى حرب الجيوش النظامية وخططها واداراتها. فاصبح لديهم خبرات متراكمة في مجال الحرب والقتال بمختلف اشكاله وفنونه. وهذا ما سوف نلاحظه عند استعراضنا لحروب خالد واستراتيجيته العسكرية.

عندما جاء الاسلام استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يصقل هذه الخبرات ويطورها ويضيف عليها. وبذلك اوجد نواة الجيش الذي ضرب في مشارق الارض ومغاربها. ولم ينتقل عليه السلام الى جوار ربه الا وقد الم هذا الجيش بمبادي الحرب وفنون القتال. مما مكّن الخلفاء من بعده

من الانطلاق بالعقيدة الى افاقها الرحبة؛ لذلـك فـان الادعـاء بالمصادفـة او الحظ اللذان صادفهما العرب في حروبهم هو ادعاء بـاطل لا يرتكـز علـى حقيقة او منطق، اللهم الا بارتكازه علـى الكـذب للانتقـاص مـن قـدرة هـذه الامة على الابداع في جميع مجالات الحياة، فليـس الناحيـة العسـكرية هـي وحدها التي ادعى دعـاة الحضـارة الغربيـة ان العـرب غـير قـادرين علـى اتقانها بل ذهبوا الى ما هو ابعد من ذلك في محاولـة رخيصـة لتشـوية كـل المعالم الحضارية والانسانية لهذه الامة.

فالجيوش الاسلامية لم تنتصر نتيجة لضعف دولة الفرس والـروم فقط. بل انتصرت لانها تمتلك جميع المقومات العسـكرية اللازمـة للنصـر. ومهما هرب المؤرخون من الحقيقة المؤلمة. فلا بد لهم مـن الرجـوع اليهـا يوما لاعطاء الانتصارات الاسلامية حقها. وفهـم حقيقـة الهزيمـة الفارسـية والرومانية. وحقيقة بناء الدولة الاسلامية وقيامها كقوة عالميـة مقتـدرة فـي ذلك العصر.

ان الحروب الاسلامية والفتوحات التي تمت. لـم تتـم فـي العـراق وبلاد الشام فقط. ولم يواجه المسلمون الروم والفرس فحسـب، بـل انطلقـوا الى الهند والصين وشمال افريقيا واوروبا وجنوب شرق اسيا. واسـتطاعوا ان يقاتلوا شعوبها وينتصروا عليها. فهل كانت جميع هـذه الامـم والشـعوب ضعيفة؟ ام ان العسكرية الاسلامية وقادتها كانوا متميزين على غيرهم.

ان اقوال بعض الباحثين والمؤرخين بحاجة الى اعادة نظر شاملة من حيث نظرتها الى الفتوحات الاسلامية واسباب انتصار المسلمين على غيرهم من الشعوب، فالعودة الى الحق خير من التمادي في الباطل.

اما عن تقاليد الجيش الذي هز اركان اعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان وتنظيمه وتسليحه والادارة التي كان يعتمد عليها، فاننا نستطيع القول بان هذا الجيش الذي اشغل العالم كان جيشا عاديا للغاية في تنظيمة وزية العسكري، ولكنه كان جيشا استثنائيا في مدى ايمانه بعقيدته والتضحية في سبيلها. وعلى ما يبدو فانه لم يكن هناك اهتمام من قبل القيادات الاسلامية ببعض المظاهر العسكرية، وكان اهتمامها منصب على الجوهر من خلال التركيز على البناء العقائدي والنفسي والمعنوي للقوات المسلحة.

فقد كان جنود هذا الجيش لا يرتدون زيا موحدا خصوصا في المراحل الاولى من الفتوحات. ولذلك لم يكن هناك ما يميزهم عن غيرهم من افراد المجتمع؛ كما هي حالة الجيوش المعاصرة. او جيوش الفرس والروم التي كانت موجودة في تلك الفترة. وبناء عليه فلم تكن ملابس الجنود المسلمين متشابهة، وبامكان الجندي المسلم ان يرتدي من اللباس الزي الذي يناسبه.

كما ان هذا الجيش كان ينفرد بميزات خاصة تميزه عن الجيوش الحديثة، حيث لم يكن هناك تسلسلا قياديا كما هي حالة جيوش اليوم. فالقيادة كانت تسند من قبل الخليفة لاي شخص مؤهل لذلك. ولهذا لم تكن

هناك ترقيات او رتب في الجيش الاسلامي، وهذا النمط من القيادة والتنظيم يمثل نمطا فريدا بين الجيوش قاطبة.

وقد كان الانتساب لهذا الجيش مفتوحا للجميع بغض النظر عن لونه او عشيرته، واعتبر هذا الانتساب بمثابة الشرف الذي يسعى اليه كل مسلم، وكانت هذه القاعدة تشمل الجنود والقادة، فاي جندي قد يتحول الى موقع قيادي، فالمواقع القيادية في الجيش الاسلامي ليست مواقعا ثابتة، بمعنى ان القيادة ليست دائمة وهي لقيادة معركة واحدة فقط. وقد تسند القيادة في المعركة اللاحقة لقيادة اخرى. وعند انتهاء المعركة يعود القائد الى موقعة كجندي من جنود الجيش الاسلامي.

اما عن تجميع القوات الاسلامية وتنظيمها فقد اوجدت القيادات الاسلامية تنظيما متسلسلا يشبه تنظيم جيوش اليوم. فكان لكل عشرة افراد قائد ولكل مائة قائد ولكل الف قائد. وهذا التنظيم قد اوجده الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان في المدينة. وقد كان تجميع هذا العدد ياخذ الصفة القبلية او العشائرية: فعندما كانت القيادات الاسلامية تقسم جيوشها الى ميمنة وميسرة وقلب في المعارك. كانت تنظمها على اساس قبلي، وذلك لاسباب كثيرة اهمها أن الدفاع عن شرف القبيلة كان لا يزال ياخذ حيزا واسعا لدى المقاتلين المسملين.

الا ان هذا التنظيم لم يكن شيئا ثابتا عند القوات الاسلامية، بل كانت هناك امكانية مستمرة لتغييره وفق مقتضيات المعركة وما يتطلبة

الموقف الراهن، فكان هناك الكراديس وكان هناك الميمنة والميسرة والقلب التي كانت تتشكل من عدة كراديس.

اما عن التسليح، فقد كان الجيش الاسلامي مسلح بكل الاسلحة التي كانت معروفة في ذلك الزمان، وكانت عبارة عن السيف والرمح والقوس والخنجر والمزراق والنبل وغيرها، اما وسائل القتال فكانت الخيل والجمال، ولم يعرف العرب الفيلة او استحدامها قبل حروبهم مع الفرس والروم، وعندما ظهرت لاول مرة في ارض المعركة شكلت مفاجاة لقوات الجيش الاسلامي بحيث وجدت القوات الاسلامية صعوبة في التعامل معها في بداية الامر.

اما بالنسبة للتخصص في التسليح فلم تكن هناك موازنات دفاع تقوم الدولة من خلالها بشراء الاسلحة وتوزيعها على المقاتلين، فقد كان يقع على عاتق المقاتل ان يقوم بتامين السلاح المناسب لنفسه. حيث لم تكن هناك مقاييس محددة للتسليح. وعادة ما كان المقاتلون يؤمنون اسلحتهم عن طريق شرائها من اموالهم الخاصة. او من اسلحة اعدائهم الذين يسقطون في ارض المعركة. او من الغنائم التي يحصلون عليها من اعدائهم. اما بالنسبة للدروع والخوذ التي كان الجنود يرتدونها. فيعتقد ابتداء انها لم تكن معروفة لدى المسلمين. ومن المحتمل انهم نقلوها عن الفرس والروم.

ونتيجة لتشابه الاسلحة وسهولة استخدامها من قبل المقاتلين فقد كان الجميع يستخدم نفس الاسلحة. ولم يكن هناك أي تخصص من قبل المقاتلين في صنوف الاسلحة المختلفة كما هو الحال في الجيوش

المعاصرة، ولذلك تميزت الجيوش المقاتلة في الزمن الماضي بسهولة ادارتها وسهولة تنسيق حركاتها المختلفة، بينما تعقدت في العصر الحاضر عمليات التنسيق بين هذه الجيوش.

لقد اقتصرت صنوف الاسلحة في الجيش الاسلامي على المشاة والخيالة الذين كانوا يستخدمون الخيل في المعارك، وكان الخيالة في الماضي يشبهون سلاح الدروع في الوقت الحاضر. ونتيجة لذلك نجد الكثير من الدول ما زالت تطلق على قواتها المدرعة اسم سلاح الخيالة وذلك لسرعة حركتها في ميدان المعركة ومرونتها العالية.

اما عن الدعم اللوجستي والاداري. فقد تميز الجيش الاسلامي بعدم وجود نقاط تموين واسناد على خطوط حركته. وذلك لعدم وجود عمليات تخزين او لعدم الحاجة لاقامة مثل هذه النقاط والاكتفاء بنقل ما يحتاجونه من مواد غذائية وماء على ظهور الخيل والابل. ولذلك تميزت القوات الاسلامية بميزة جيدة. وهي عدم امكان عزلها عن قواعد تموينها من قبل العدو. وهذه ميزة هامة لا زالت تشكل لجيوش اليوم معضلات رئيسية، ولاهميتها في العمليات العسكرية يقول نابليون: " الجيوش تزحف على بطونها"، وذلك كدلالة على اهمية الدعم الاداري للقوات المحاربة.

ولان هذا الجيش كان يتكون من المشاة والخيالة. فانه كان يمتلك قدرة عالية على الحركة، حيث لم يكن بحاجة في عمليات تنقله الى الطرق الممهدة، ولا تستطيع المعالم الطبيعية المختلفة ان تحد من قدرته على الحركة. ولذلك كان يمتلك درجة عالية من المرونة التي تجعله قادرا على

التقدم على محاور متعددة في أي عملية عسكرية. كما جعلت الجيش قادرا على تنفيذ واجباته وتحقيق اهدافه بسرعة عالية.

اما عن تشكيلات الجيش في ذلك الوقت فقد كان يتشكل بتشكيلات المعركة وهي الميمنة والميسرة والقلب. وكانت هذه التشكيلات مكونة من كراديس او صفوف. وكانت الخيالة تستخدم لاسناد ودعم قوات المشاة، ومحاولة الاشتباك مع خيالة العدو او مطاردة فلوله. وقد استطاع خالد ان يضيف الى التشكيل السابق قوات احتياطية تكون بامرته عند الحاجة. ولذلك تطور التشكيل الى ميمنة وميسرة وقلب وقوات احتياط.

اما في عمليات التقدم فقد ماثلت قوات المسلمين في تشكيلاتها اثناء التقدم التشكيلات المعتمدة في الوقت الراهن. فاثناء الحركة كان خالد بن الوليد يرسل امام الجيش بعض المفارز بمثابة حرس مقدمة. واجبها استطلاع قوات العدو وحماية الجسم الرئيسي من الوقوع في أي كمين. بعد حرس المقدمة ياتي تشكيل الجسم الرئيسي للقوات المتحركة الذي يسير خلف حرس المقدمة. ثم يتحرك بعد الجسم الرئيسي المواد والمتاع والنساء والاطفال ان وجدوا. وفي نهاية التشكيل ياتي حرس المؤخرة.

هذا الجيش الذي كان يتحرك على شكل قافلة ولا يلبس الزي الموحد يعطي انطباعا لمن يشاهده بانه ليس بأكثر من حشد من الرجال غير المدربين. بينما كان واقعا وحقيقة من خيرة جيوش العالم في ذلك الزمان. والا لما تصدى لاعظم الامبراطوريات وهزمها في عقر دارها واصبح مثار اعجاب العالم بأسره.

## الفصل الثالث: الاستراتيجية النموذج

مقدمة

أولا : استراتيجية خالد العسكرية.

ثانيا : مبادئ الحرب عند خالد.

ثالثا : خالد بن الوليد والقادة العسكريون.

ظلت الاستراتيجية العسكرية الاسلامية بدون تطبيق بشكل واسع في الزمن الذي سبق معارك خالد بن الوليد، وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع اسسها وبين خطوطها العريضة لاتباعه عندما طبقها في غزواته المتعددة، الا ان هذه الغزوات كانت تتم بين القبائل العربية ذات التقاليد العسكرية المتماثلة، وكان حجم هذه الغزوات محدودا لدرجة مساوية لحجم القوات المشاركة فيها على الرغم من اهميتها في مراحل بناء الدولة الاسلامية الاولى. الا ان الحقيقة التي تبقى ماثلة للعيان لكل متتبع للحروب السابقة ان الاستراتيجية العسكرية الاسلامية لم تتعرض للاختبار مع جيوش عريقة لها رؤيتها الخاصة بالحرب وتقاليدها العسكرية الا بعد عبور خالد لحدود دولتي الفرس والروم.

لهذا السبب وغيره رأينا ان خالداً هو اول قائد عسكري مسلم وضع الاستراتيجية العسكرية الاسلامية موضع التطبيق العملي واضاف عليها كل ما من شأنه ان يجعل منها استراتيجية تتلائم ومقتضيات العصر، وتخدم الهدف الذي خرج من اجله. فكان استاذا في فنون الحرب ومعلما لكل من جاء بعده من القيادات الاسلامية. ولا شك بان هناك اكثر من سبب يجعلنا نأخذ استراتيجية خالد بن الوليد العسكرية نموذجا للاستراتيجية الاسلامية، واهم هذه الاسباب ما يلي:

١. يعتبر خالد بن الوليد اول قائد مسلم اجتاز حدود الصحراء لمواجهة جيوش اعظم دولتين في ذلك العصر، وهي جيوش منظمة وتمتلك كل خبرات الحرب، ومجهزة بكل ما يلزم من عدة وعتاد.

٢. ان معظم القيادات العسكرية الاسلامية قاتلت تحت امـرة هـذا القائد الفذ وتعلمت منـه مبـادئ الحـرب والاسـتراتيجية، أمثـال عمـرو بـن العاص فاتح مصر والمثنى بن الحارثة وابو عبيدة وغيرهم.

٣. لم يهزم خالد في أي معركة من معاركه علما بانه خاض نيّفـا وخمسين معركة. ولم يحدثنا التاريخ عن قـائد عسكري خـاض هـذا العـدد من المعارك او اقـل منهـا ولـم يهـزم. وهـذه مـيزة تاريخيـة لقـائد تـاريخي تجاهله الاعـداء عـن عمـد وسـابق اصـرار لان تـاريخ هـؤلاء الاعـداء لـم ينجب امثال هذا القائد الفذ.

فـلا عجـب والحالـة هـذه ان تكـون سـيرة هـذا البطـل ومعاركـه موضـع دراستنا ومجال بحثنا وتحليلنا خدمة لتـاريخ هذه الامـة وانجازاتهـا التي يحاول الكثيرون الانتقاص منها.

## اولا: مبادئ الحرب عند خالد:

عرف فون كلاوز فيتز الحرب فقال:" الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل اخرى عنيفة، وهي من اعمال العنف المقصود منها اجبار الخصم على العمل حسب ارادتنا ". وتعرف كلية الحرب الصينية الحرب:"بانها عمل من اعمال النزاع المنظم بين مجموعات سياسية ( دول ) لاجبار الخصم على القيام بالعمل حسب ارادة الدولة السياسية "[1].

اما تعريف الحرب كما نراه فهي:"عبارة عن عملية استخدام منظم للعنف يقصد منها تحطيم ارادة الخصم وتحديد قدرته على المناورة السياسية بما يسمح بفرض ارادة الطرف المنتصر قسرا ".

والحرب من خلال هذه التعاريف تمثل عملية تغيير في واقع ما مرفوض او غير مقبول من احد طرفي النزاع. بحيث يدفع به هذا الرفض الى محاولة تغيير هذا الواقع بما يتناسب ومصالحه الاستراتيجية عن طريق استخدام القوة. وفي الغالب فان الطرف المبادر الى استخدام القوة يرتكز في توجهاته هذه على عملية تقدير واسعة النطاق لحجم المشكلة، وموازين القوى، والنتائج التي يمكن تحقيقها. وفي الكثير من الحروب فانه من الممكن للطرف المنتصر ان يقوم بحشد اضافي لاهداف اخرى اضافة للاهداف الرئيسية التي شنت الحرب من اجلها. وهو ما يمكن ان نسميه اهدافا اضافية متاحة، سمحت بتحقيقها عملية استخدام القوة. وبالتالي فان

---

(1) بصبوص، احمد عبد ربه، فن القيادة في الاسلام (مكتبة المنار، الطبعة الثانية، الزرقاء، ١٩٨٩ ص٦٧)

النتائج الكلية تصبح معتمدة اعتمادا رئيسيا على منطق القوة الذي فرض نفسه اخيرا على ساحة الصراع.

ولاهمية الحرب وما يترتب عليها من نتائج فقد اولتها الدول قاطبة وخبراء الاستراتيجية والحرب اهمية استثنائية، ووضعت لها المبادئ والاسس والمنطلقات. واصبحت معظم الدول وخصوصا القوية منها تمتلك مبادئ للحرب تلتقي في جزء منها مع مبادئ الدول الاخرى وتختلف في جزئها الآخر مع تلك المبادئ.

وقد بحث الكثير من المفكرين العسكريين في هذه المبادئ وكان اشهر من بحث فيها هندرسون وفوش وكلاوتز فيتز وليدل هارت ومونتغمري وغيرهم. وقد ظهر اختلاف واضح بين المفكرين والقيادات العسكرية السابقة حول هذه المبادئ، ويعود السبب في ذلك الى انتساب كل منهم الى مدرسة متميزة، مثل المدرسة العسكرية الالمانية والبريطانية والفرنسية وغيرها.

ان ظهور مبادئ الحرب في القرن الحاضر او الذي سبق لا يعني بالضرورة ان القيادات التاريخية امثال خالد بن الوليد وهنيبال والاسكندر الكبير لم يكن لها اهتمام بمثل هذه المبادئ. والملاحظ من خلال دراسة معارك القيادات القديمة وحروبها، ان هذه القيادات قد اعتمدت على مبادئ مماثلة ان لم تكن متطابقة مع مبادئ الحرب في عصرنا الحاضر مع اخذ طبيعة الحرب وادواتها في ذلك الزمن بعين الاعتبار.

واذا كانت القيادات القديمة قد اهتمت بمثل هذه المبادئ فانه من المؤكد بان خالد بن الوليد كان على راس تلك القيادات، وتؤكد الحروب التي خاض غمارها، على ان هذا القائد قد طبق في معاركه المختلفة معظم مبادئ الحرب المعروفة في وقتنا هذا، ومن غير المستبعد ان تكون القيادات المعاصرة قد تعلمت ونقلت عن حروبه الكثير من هذه المبادئ.

الا ان خالدا قد تميز عن غيره من القيادات الاخرى وخصوصا المعاصرة منها، انه لم يتعلم مبادئه الحربية في المدارس العسكرية او كليات الحرب، كما انه لم يطلع على تاريخ المعارك والحروب، بل نشأ في جو عربي صحراوي تميز سكانه بالبداوة وصفاء الذهن، ولذلك استنبط خالد بعض هذه المبادئ بعبقريته الفذة من جهة، وتعلم بعضها الاخر من الاحداث التي كانت قائمة في ذلك الزمن في الصحراء العربية من جهة اخرى.

وقد تم صقل جميع هذه المعارف بعد اسلامه، ومشاركته العملية للنبي صلى الله عليه وسلم في حملاته المختلفة. اما عن اهم المبادئ التي عمل بها خالد فكانت:

١. اختيار الهدف او القصد وادامته

من المعروف ان الهدف النهائي لاي قائد في المعركة هو تحطيم ارادة العدو على القتال ودحره، ومن ثم العمل على تدميره لتحقيق الهدف او انجاز المهمة. ومن استعراضنا لمعارك خالد بن الوليد، نلاحظ بانه كان

يختار هدفه بعناية بعد تفكير شامل وفحص دقيق للظروف، وقد كان يعمل قصارى جهده لبلوغه وعدم التحول عنه قبل الحصول عليه. ولذلك كان يوجه كل قدراته المادية والمعنوية خدمة لذلك. فعندما اختار عبور الصحراء، والمجازفة بقواته، كان هدفه الوصول باقصى سرعة لنجدة المسلمين في بلاد الشام، وعندما هاجم اجنادين كان يسعى لتحطيم قوات الروم ومنعها من القيام بتطويق القوات الاسلامية او عزلها، وفي كلتا الحالتين، اصر خالد على بلوغ الهدف على الرغم من كل المصاعب والمشاق التي واجهته. وفي معركة احد رفض الهزيمة واصر على هزيمة المسلمين. وفي حروبه في العراق كان هدفه الحيرة فتحقق له ذلك باسرع مما هو متوقع.

٢- الحشد

اذا كان مبدأ حشد القوة يعني جمع اكبر قوة ممكنة لتحقيق الهدف، ويقتضي التفوق العددي على قوات العدو، فان خالدا بن الوليد حارب معظم معاركه عدوا يفوقه عددا وعدة. ومع ذلك فانه كان يحشد القوة المتوفرة لديه في كل معركة معتمدا على نوعية جنوده لردم الهوة بين اعداد جنوده وجنود اعدائه.

وقد اعتمد خالد في كل معاركه على حشد القوات المتوفرة، ففي معركة اليرموك على سبيل المثال، حشد جميع القوات الاسلامية لمواجهة الروم، وفي معركة اجنادين قام بحشد قوات قادرة على مواجهة جيش الروم عندما وجد بان قوات عمرو بن العاص غير كافية للقيام بهذه

المهمة، وفي معركة اليمامة ضم الى قواته قوات شرحبيل بن حسنة، وفي حروبه في العراق ضم اليه قوات المثنى بن حارثة الشيباني.

وقد اعتمد خالد في كل المعارك التي خاضها على نوعية رجاله، وقدرته على المناورة، ففي معارك العراق حاول الفرس وضع قوات خالد بين فكي كماشة بعد ان حشدوا اعدادا هائلة من المقاتلين، وللتغلب على مشكلات التفوق العددي الكاسح لدى الفرس قام بمناورته الفذة التي قضى من خلالها على الجيشين كلا على انفراد، وحطم فكي الكماشة قبل ان تتمكن من الاطباق على قواته.

**٣- التعرض**

يعتبر هذا المبدأ من اهم المبادئ لاي قائد يسعى للحصول على زمام المبادرة من عدوه المقابل، كما يعطي القيادة التي تتمسك به حرية العمل في ميدان المعركة، وغالبا ما يكون الهدف المباشر من التعرض هو تحطيم قوات العدو والقضاء عليها.

وبناء عليه فانه اذا استعرضنا المعارك المختلفة التي خاضها خالد بن الوليد نجد بان سيف الله قد تمسك بمبدأ التعرض في جميع هذه المعارك على الاطلاق، ليس هذا فحسب، بل لعل ابرز ما يميز عمليات خالد بانها جميعا كانت عمليات تعرضية، ولم نقرأ لخالد عن أي عملية اكتفى فيها بدخول معركة دفاعية محضة. حيث كان تفكيره الاستراتيجي وعبقريته العسكرية تسمحان له بهذا العمل الحاسم، ولذلك فانه لم يفكر على الاطلاق باللجوء الى مفهوم الحرب الدفاعية طيلة حياته[1].

---

(1) المرجع السابق، ص٩٢

لقد مزج خالد مبدأ التعرض بالعنف، مما جعل من هذا المبدأ اقرب الى تحقيق الهدف واجدى في اضعاف قدرة العدو في المدى البعيد والقريب. وقد طبق خالد مبدأ التعرض العنيف في اكثر من معركة الا ان اشدها وضوحا كان في معركة النهر.

ان تطبيق خالد لمبدأ التعرض جعله يلتقي مع الكثير من القيادات العسكرية القديمة والمعاصرة، الا ان خالدا قد تميز عنهم بتطبيق مبدأ التعرض العنيف الذي يفقد العدو توازنه ويحطم معنوياته ويدفع به الى الانهيار.

٤- المفاجأة

يعتبر مبدأ المفاجأة من المبادئ التي اعتمدها خالد بن الوليد في عملياته العسكرية، حتى ذهب بعض المؤرخين الى القول بان انتصارات خالد في معاركه التي خاضها عائد الى تمسكه بهذا المبدأ. وفي الواقع وكما سبق وان ذكرنا فان هذا العنصر يستوجب بعض المتطلبات لتحقيقه. ولذلك فان خالدا قد عمل على التمسك بكل العناصر التي تساهم في تحقيقه مثل اعتماد السرية وسرعة الحركة، واستخدام الارض والمناورة.

ففي معركة احد باغت خالد بن الوليد المسلمين وحول نصرهم الى هزيمة، وفي عبوره صحراء بلاد الشام باغت قوات الامبراطورية الرومانية، وفي الولجة باغت قوات الاندرزغز، وهناك الكثير من المواقف التي اكدت على ان خالد بن الوليد هو رجل المفاجآت حقا. لقد مزج خالد عنصر المفاجأة بالجرأة والمخاطرة المحسوبة، مما مكنه من تحقيق النصر في جميع عملياته العسكرية التي خاضها قبل الاسلام وبعده.

### ٥- المرونة

تعرف المرونة على انها تعبير عن القدرة على التصـرف بهـدوء عند حدوث أي تغيير في المواقف او الخطة الموضوعـة، كمـا انهـا تعبير واضح عن القدرة العقلية وسرعة اتخاذ القرار من قبل القيادة لمواجهـة أي طـارئ، وقـد عـرف هـذا المبدأ قبـل الحـرب العالميـة الثانيـة بمبدأ قابليـة الحركة[١].

والمتتبع لاعمال خالد العسكرية لا بد لــه وان يلاحـظ بـان جميـع خططه العسكرية قد اتسمت بمستوى عال من المرونة التي تناسب مختلـف المواقـف. ولتحقيـق هـذا المبـدأ فقـد اعتمـد خـالد علـى العنـاصر الرئيسـية التالية:

أ. المحافظة على قابلية حركة عالية لقواته.

ب. القدرة على المناورة وتعدد اشكالها.

جـ. تجميع القوات بصورة تمكنه من مواجهـة المواقـف المختلفـة او الطارئة.

د. استخدام اساليب جديدة في القتال.

هـ. المحافظة على السرية والكتمان لجميع الاجراءات العسكرية التي كان يقوم بها.

ونتيجة لهذه الاسباب نجح خـالد بـن الوليـد بمفاجـأة اعدائـه فـي معظم معاركه، واستطاع ان يقوم بمواجهة الكثـير مـن المواقـف المسـتجدة التي ظهرت في الكثير من المعارك التـي خاضهـا. ففـي معركـة اليـرموك

---

(١) صالح، ص١٣٢

كان خالد على رأس قوة متحركة في الاحتياط يوجهها الى أي موقع يواجه بعض الصعوبات او المشاكل، لتقديم الدعم والاسناد وتعديل الاوضاع المستجدة.

كما طبق خالد هذا المبدأ بمفهومه المعاصر والشامل، بحيث كان يراقب المعركة ويتحرك في الزمان المناسب الى المكان المناسب، بعد ان يكون قد عمل تقدير موقف عسكري سريع واستنتج ما يستوجب عليه ان يفعله. وبذلك يكون خالد قد استخدم قابلية قواته على الحركة ومرونته العقلية لتحقيق هذا المبدأ. (١)

**٦- التعاون**

يعتبر مبدأ التعاون من مبادئ الحرب التي يجب ان تؤخذ بالحسبان، وذلك لاهمية التنسيق بين مختلف صنوف القوات المساحة البرية والبحرية والجوية من جهة، وبين تشكيلات الصنف الواحد من جهة اخرى. ويتطلب تحقيق هذا المبدأ وجود قيادة موحدة لمختلف الصنوف والتشكيلات، بحيث تحقق التعاون الفعال بين مختلف الفروع. وقد عمل خالد بهذا المبدأ على نطاق واسع. فقد أمن على سبيل المثال، التعاون بين قواته وقوات المثنى بن الحارثة في مسرح عمليات العراق، وأمن التعاون بين قواته وجيوش المسلمين في بلاد الشام. وفي معركة اليرموك استطاع

---

(١) الجبوري، نهاد عباس، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧ ص٢٣)

تـأمين التعـاون بيـن القـوات الاحتياطيـة والقـوات الرئيسـية المشـاركة فـي المعركة، كما انه أمن التعاون بين التشكيلات المختلفة للقطعات المقاتلة.

## ٧- المعنويات

للمعنويات اثر واضح على نتائج الحـروب، وبـالقدر الـذي تكـون فيه معنويات المقاتلين عالية بالقدر الذي يكون لديهم التصميم الاكيـد علـى القتال وتحمل اعباء المعركة. ويعتبر النصر هو العنصر الاساس في رفـع معنويات الجنود، كما ان الثقة بالقيادة لها دورهـا المميز فـي تحقيـق ذلـك. وتعتبر المعنويات سلاح فعال في يد القـائد، عليـه ان يسـتغلها عنـد جنـوده ويعمل على تنميتها باستمرار.

واذا كان للثقة بالقـائد دورهـا فـي التـأثير علـى معنويـات الجنـد، فبالتأكيد ان وجـود خـالد علـى رأس كـل حملـة كـان يعطـي الزخـم الهـائل لمعنويات المقاتلين، فقد كان مضرب المثل لجنوده، وكان مكانه في الامـام دائما، يقود جنده من نصر الى نصر.

هذه هي اهم المبادئ التي طبقها سيف الله في معاركه، وان كـان قد طبق مبادئ اخرى غيرها، الا ان هذه المبادئ هي اهم وابرز مـا طبقـه خالد في حروبه، اردنا ان نبينها بالشواهد والادلة للتأكيد على ان هذا القائد الفذ كان قد سبق غيره من القيادات في تطبيق هذه المبادئ.

## ثانيا: خالد والقادة العسكريون:

عند محاولة التعرف على موقع قائد ما واهمية دوره وعظيم انجازاته في تاريخ امته، لا بد لنا من مقارنة هذا القائد بغيره من القيادات الفذة ذات الانجازات العظيمة، فان كان ذو كفة ممثالة لغيره فمكانه لا بد وان يكون بينهم،وان رجحت كفته لا بد وان يوضع على رأس تلك القائمة. وهنا سنحاول ان نقارن خالد بن الوليد بالقيادات العسكرية العظيمة السابقة والاخرى اللاحقة، لنرى ماذا جمع هذا العبقري من مواصفات جعلت منه قائداً مميزاً في تاريخ امته واستراتيجياً بارعاً لم يرق الى مرتبته الا ما ندر من قيادات الامم الاخرى.

وبداية لا بد لنا من مقارنة معارك خالد بن الوليد من وجهة نظر استراتيجية وتكتيكية مع معارك غيره من القادة امثال هنيبال وبليزير ونابليون ورومل وغيرهم، وسوف نحاول القاء الضوء على الحركات العسكرية البارعة التي قام بها مع ما يماثلها من حركات قام بها غيره من القادة للوصول الى النتيجة والحكم المنزه على هذا القائد.

تاريخيا يمثل القائد القرطاجي (هانيبال ٢٤٧-١٨٣) ق.م ظاهرة عسكرية فذة، فقد سار نحو بلاد الرومان عن طريق اسبانيا واقتحم قمم جبال الالب وتوج هذا الاقتحام بانتصار ساحق في معركة بحيرة (ترازيمين)، فكيف تم له ذلك ؟.

من المعروف ان القائد العسكري يفضل دائما مواجهة المعروف بدلا من المجهول، الا ان هانيبال اجتاز المخاطر في ظروف مجهولة، بدلا من ملاقاة العدو على الارض التي اختارها، ونظم على طريق روما اكبر

كمين ناجح في التاريخ، حيث اسقط الجيش الروماني في الفخ وهاجمه من الجبهة والمؤخرة في آن واحد فتمت ابادته. لقد سار جيش قرطاجنة اربعة ايام على طريق مغمورة بالمياه وفقد الكثير من الرجال والخيول، محاولا اجتياز الموضع الذي احتله الرومان، والسير في مناطق يعتبرونها تحت حمايتهم، مما يجعل القادة الرومانيين غير قادرين على الوقوف مكتوفي الايدي، فيضطرون للانطلاق وراءه كالمجانين، وهذا ما حدث وجاءت فرصته الملائمة للهجوم، ويعتبر هذا التفكير تطبيقا فذا للمناورة على مؤخرة العدو، ويمكن لهواة التاريخ الذين يدرسون هذه الواقعة ونتائجها تكوين صورة عن الابداع الفكري الذي هيأ هذا النصر.

لقد حققت حركة هانيبال المفاجأة الكاملة للرومان خصوصا عندما اجتاز نهر (الرون) وتوغل بقواته نحو الشمال سائرا في وادي نهر (الليزر) الطويل الوعر، بدلا من اجتياز (الريفيرا) السهلة.ويذكر المؤرخون ان الدهشة قد اصابت (بوبليوس سيبيون) القائد الروماني الذي اعتقد بان هانيبال لن يجازف باستخدام هذا السبيل.

وفي حرب الوراثة الاسبانية استطاع القائد الانجليزي (مارلبورو ١٦٥٠-١٧٢٢)م، ان ينفذ هجوما غير مباشر على القوات الفرنسية وحليفتها البافارية يعتبر مثالا يحتذى في التاريخ العسكري. فقد قام هذا القائد بحركة مدروسة من منطقة الموز الى الدانوب، وهي حركة واسعة تبعده عن قاعدته الانجليزية، وتفقده مكاسب في الشمال، الا ان اهمية هذه الحركة تكمن في عنصر المفاجأة الذي حققته، وكانت المفاجأة تكمن في الوصول الى موقف يحقق امكانات الهجوم في اتجاهات مختلفة،

وتهديده عدة اهداف في وقت واحد مما يمنع العدو من اكتشاف الهدف الحقيقي. وقد حققت له هذه المناورة الاستراتيجية القدرة على ابقاء اتجاه تقدمه مجهولا بشكل فعال.

وفي الحرب الاهلية الامريكية برز بعض القادة الكبار كان لهم رؤيتهم الخاصة وفلسفتهم المميزة في الحرب، وقد كتب ليدل هارت عن القائد الامريكي (شيرمان) [1] فقال: " ان الاساليب التي استخدمها شيرمان في عملياته تستحق دراسة عميقة. لانه عزل نفسه عن قواعده عند تقدمه عبر كاروليتا، كما استغنى عن جميع التجهيزات الزائدة حتى غدا جيشه قوة سريعة الحركة... ولقد برهن شيرمان بزحفه عبر جورجيا كيف يمكن تحريك الجيش بسهولة وجعله خفيفا الى اقصى درجة. وحاول اثناء تقدمه... ان يقلب جيشه الى آلة متحركة حسب الطلب، وقادر على الانطلاق في طرفة عين والعيش على اقل الوجبات "[2].

ولو قارنا حركة خالد العسكرية من العراق الى بلاد الشام بما قام به القادة الثلاث لوجدنا ما يلي:

لقد طلب خالد بن الوليد من هيئة اركانه ان يبحثوا له عن طريق تتصف بما يلي:

- ان تخرج قواته وراء جموع الروم.
- ان تحقق له سرعة الوصول الى بلاد الشام لغياث المسلمين.
- ان لا تصطدم قواته المتحركة بطلائع ومفارز قوات الروم.

---

(1) احد قادة الحرب الاهلية الامريكية

(2) ليدل، هارت، مرجع سابق، ص١٤٤

وقد كان يهدف من وراء ذلك تحقيق عنصر المفاجاة وسرعة الحركة والظهور على مسرح العمليات في مكان غير متوقع من قبل قوات العدو. وبناء عليه قام خالد بحركة التفاف واسعة النطاق حول جناح العدو مبتدئاً من قراقر الى سوى ومنها الى تدمر فبصرى. وقد حققت له هذه الحركة كل اهدافه وكانت نموذجا لعمليات الاقتراب غير المباشر. ولو سايرنا الجنرال كلوب في كتابه (الفتوحات العربية الكبرى) والذي ترجمه الاستاذ خيري خليل حماد، واعتبرنا تفسيره لهذه الحركة بانها كانت تستهدف ارغام جيش الروم على ترك مواقعه الدفاعية في درعا، فان ذلك لا ينزع عنها ولا ينقص من اهميتها بل يدعم ما ذهبنا اليه من ان هذه الحركة قد حققت مفاجأة استراتيجية كبرى وشكلت حركة من ابرع الحركات العسكرية في التاريخ.

لقد كانت تدابير خالد العسكرية في حركته أكثر من تدابير القائد الامريكي شيرمان لاسباب ليس أقلها أن خالداً قد اجتاز صحراء قاحلة دون أية امكانية لتزويد القوات بالطعام او الشراب، فاذا كان المطلوب من قوات شيرمان ان تعيش على اقل الوجبات، فان قوات خالد كان مطلوب منها الاعتماد على الذات والبحث عن المياه في اعماق الصحراء للتزود بها قبل الهلاك وهو ما ينطوي على مجازفة كبيرة ان لم تكن مغامرة خطرة غير مضمونة النتائج. اضف الى ذلك ان خالدا قد تخلص من جميع العناصر الادارية وجعلها تسلك طريقا آخر خوفا عليها من الهلاك وخوفا من اعاقة تقدم قواته السريع حتى ورد بانه كان يسير مسافة اليومين بيوم واحد، وهذا ما يؤكد على اهتمام خالد بسرعة حركة القوات.

من خلال ما سبق تجد ان القادة الثلاث قد حقق كل منهم ميزة استراتيجية معينة، فاذا كان هانيبال ومالبورو قد حققت حركاتهم المفاجأة، وحقق شيرمان سرعة الحركة لجيشه فان خالد حققها جميعا في عملية واحدة، فهو:

- قد فاجأ قوات الروم بظهوره على مسرح عمليات بلاد الشام.
- قد حول جيشه الى آلة سريعة الحركة بعد ان تخلص من عناصره الادراية الزائدة.
- قد جعلت هدفه غير واضح امام قوات اعدائه.
- قد ابتعد عن قاعدته الرئيسية.

وهكذا يبدو بصورة واضحة ان حركة خالد من العراق الى بلاد الشام وتخطيط هذه الحركة على الصعيد العملياتي والاداري جعل منها حركة استراتيجية بارعة تنم عن فكر مبدع وعقل راجح خلاق.

ولو قارنا بين خالد بن الوليد والقائد البيزنطي الكبير (بيليزير) والقائد الفرنسي الشهير (نابليون بونابرت) فستجد ان هؤلاء القادة يشتركون باكثر من صفة. ففي معركة (داراس٥٣٠م) وعندما تقدمت قوات الفرس لتهدد جناح قواته الايسر قامت قوات الخيالة الرومانية بمهاجمة قوات الفرس من الخلف، وقامت باقي القوات بعملية هجوم معاكس على نقطة التمفصل الضعيفة، بحيث انتهت العملية بسحق القوات الفارسية. لقد ابتكر بيليزير تكتيكا جديدا للتغلب على قوات العدو الاكثر عددا معتمدا على المعطيات النفسية اكثر من اعتماده على العوامل

الادراية، ومن خلال خلق ثغرة في نقطة حيوية حساسة في قوات العدو يؤدي حسن استغلالها الى تفتيت هذه القوات.

اما نابليون بونابرت فهو من اعظم القيادات العسكرية التي ظهرت في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر، وقد اذهلت انتصاراته القوى العسكرية في جميع انحاء القارة الاوروبية. وقد كان ظهوره عاملا حاسما جعل فرنسا قادرة على صد كل القوى المعادية لها.

لقد استوعب هذا القائد الكبير افكار (بورسيه) و(جيبير) وهما من أعظم الكتّاب العسكريين شهرة ونبوغا في القرن التاسع عشر، فتعلم من بورسيه مبدأ التشتيت المدروس، والخطة ذات الفروع المتعددة، وتعلم من جيبير بان الحركة والمرونة عاملانِ مهمان بالنسبة للجيش.

يقول نابليون: " يجب تركيز النار على نقطة واحدة، وما ان تنفتح الثغرة حتى ينهار التوازن، وما بقي بعد ذلك غير مهم "[1]. وعندما قال نابليون نقطة اراد بذلك نقطة تمفصل، أي نقطة حيوية في البناء العسكري للعدو تتصف بالضعف والحساسية في آن معا.

ولو قمنا بمقارنة ما فعله خالد في معركة (الولجة) مع ما فعله بيليزيرفي معركة داراس لوجدنا ان خالدا في الولجة قد قام بتقسيم قواته الى خيالة ومشاة وقسم قوات الخيالة الى قسمين، واستطاع من خلال ذلك شن هجوم بثلاث شعب مطوقا قوات الفرس كمقدمة لهزيمتها.

كما يلتقي خالد مع القائد البيزنطي في نقاط كثيرة اخرى، فقد ابتكر القائدان تكتيكاتهم الخاصة للتغلب على قوات اكبر حجم من قواتهم،

---

(1) المرجع السابق، ص١١٧.

وكان القائدان يستفيدان من قلة عدد جيوشهم ويجعلان منها ميزة يستفيدان منها معتمدين على الروح المعنوية واستنباط عناصر القوة من الضعف، والسعي الى خلق ثغرة في صفوف قوات العدو.

ولو نظرنا الى عمل خالد بن الوليد في معركة اليرموك لوجدنا انه استغل نقطة الضعف في قوات الروم وتمكن بحركة بارعة من السيطرة على نقطة التمفصل الحيوية والتي تمثلت بفصل مشاة الروم عن خيالتهم مجردا قوات المشاة من عنصر الحماية الاساسي، ثم قام بعد ذلك بحركة التفاف مزدوجة انتهت بسحق الجيش الروماني وفتحت ابواب بلاد الشام امام الزحف العربي الاسلامي.

واذا اخذنا بعين الاعتبار التطور الحاصل على وسائل القتال ووسائط النقل بين الماضي والحاضر لامكننا القول بان عمليات خالد في العراق وبلاد الشام قد تماثلت مع بعض معارك القائد الالماني الشهير في شمال افريقيا. فقد واجه رومل عام ١٩٤٣ في تونس جيشين للحلفاء يتقدمان لسحق قواته، حيث كان الجيش الانجلو-امريكي قادما من الغرب ويسعى مع الجيش الثامن البريطاني القادم من الشرق لتطويق قواته، فقرر رومل مواجهة كل جيش على انفراد، فاذا استطاع طرد الجيش الاول فانه سيكون قادرا على تدمير الجيش الثامن. وعندما بدأ رومل بسحق الجيش الاول، وفكر بتدمير الجيش الثامن خسر عنصر الزمن نتيجة لتردد (فون ارنيم) وعدم موافقة (موسوليني) على خطة رومل في الحركة الى (تيبه) والاكتفاء بالحركة الى (طحلة)، وقد اعتبر رومل هذا التعديل دليلا على ضيق التفكير وقصر النظر، وهو ما افقد رومل القدرة على تحقيق اهدافه.

اما خالد بن الوليد فقد واجه هذه الحالة على مسرح عمليات العراق وبلاد الشام، ففي العراق واجه خالد جيشين من جيوش الفرس يتقدمان لتدمير قواته، وكان الجيش الاول بقيادة (الاندرزغر) وتوجه الى الولجة، والثاني بقيادة (يهمن بن جاذويه) الذي طلب منه ان يلتحق بالجيش الاول عندما يكون جاهزا لتدمير قوات خالد. وعندما سمع خالد بتقدم الجيشين قرر تدمير الجيش الاول قبل ان يلتقي بالجيش الثاني، وحتى يتم له ذلك كان لا بد من استغلال عنصر سرعة الحركة، وبمناورة سريعة ومفاجأة استطاع خالد ان يدمر الجيش الاول في معركة الولجة بعد ان قام بعملية هجوم جبهوي ترافق مع عملية التفاف انتهت بتطويق قوات الفرس وتدميرها. وبالسرعة المعهودة عن ابي سليمان تابع خالد هجومه فالتقى بالجيش الثاني في معركة نهر الدم (اليس) فاستغل عنصر المفاجأة والسرعة وشن هجومه فور وصول القوات الى ارض المعركة فدمر جيش الفرس الثاني مزلزلا بذلك اركان الدولة الفارسية، حيث ورد بان عدد قتلى الفرس في معركة نهر الدم قد بلغ حوالي سبعين الفا. وهكذا نجح خالد حيث اخفق رومل اشهر القادة الالمان في الحرب العالمية الثانية.

كما يعتبر المؤرخون العسكريون ان انسحاب رومل في معارك شمال افريقيا من العلمين الى تونس مسافة الفي ميل تقريبا اعظم عمل من نوعه في التاريخ العسكري. ويذكرنا هذا الانسحاب بانسحاب مماثل في الحرب العالمية الثانية، حدث شتاء وتعرض لاخطار مشابهة ولكنه كان اقل طولا واكثر صعوبة، وهو انسحاب مجموعة جيوش (كليست) من قلب القوقاز حتى ممر رستوف اثناء تعرضها لتهديد الجيوش الروسية.

يقول ليدل هارت عن عملية انسحاب رومل الى تونس " ان سرعة انسحاب رومل... ونجاحه في احباط هجمات الحلفاء اعطت القيادة الالمانية فرصة كاملة لاجلاء جيوشها نحو صقلية "[1].

فاذا ما قورنت انسحابات رومل وكليست بانسحاب خالد بن الوليد من مؤتة، واخذ بعين الاعتبار التطور الحاصل على وسائل النقل، فان انسحاب خالد من مؤتة سيكون حتما من الاعمال العظيمة في التاريخ العسكري، واعترافا منه بهذا العمل العظيم منح الرسول صلى الله عليه وسلم خالداً لقب سيف الله المسلول.

لقد اخطأ الرومان خطأً جسيماً عندما تركوا قوات خالد تنسحب دون أي محاولة للتعرض لها. ويماثل خطأهم في معركة مؤتة خطأ هتلر عندما فشل في احتلال الجزر البريطانية بعد ان اوقف تقدم جيوشه نحو (دنكرك) فلو انه منع الجيوش البريطانية من الانسحاب، وكان ذلك ممكنا لوجدت انكلترا نفسها عاجزة عن الدفاع لدرجة تجعل احتلالها امراً محتملاً.

ويقول ليدل هارت في ذلك: "ورغم انتصاراته الباهرة في عام ١٩٤١ فقد بدأ نجمه بالاقوال - يقصد هتلر - منذ فشله في معركة بريطانيا، وهو الفشل الذي يرجع قبل كل شيء الى تردده ووقوفه بلا عمل امام دنكرك في الوقت الذي كانت فيه هذه المدينة تحت رحمته "[2].

---

(1) المرجع السابق، ص٢٤٥.
(2) المرجع السابق، ص٢٢٠.

ان النتيجة التي وصل اليها هتلر لا تختلف كثيرا عن النتيجة التي وصل اليها امبراطور الروم بعد ان وقف مترددا امام انسحاب القوات الاسلامية من مؤتة، والتي عادت ثانية وبعد فترة وجيزة لتنتزع مساحات واسعة من امبراطوريته وتضمها الى رقعة الدولة الاسلامية.

اما في مجال الحرب النفسية والتأثير على الروح المعنوية فيرى هتلر في استراتيجيته ان الحرب تبدأ قبل اشتباك القوات في ساحة المعركة، فلذلك كان يعتقد ان الحرب الحقيقية تبدأ قبل بدء العمليات الحربية، ويقول في هذا المجال: " يهمني ان اعرف كيف يمكن تحقيق انهيار العدو قبل اعلان الحرب "، ويقول في مكان آخر: " ان استراتيجيتنا تقوم على اساس تدمير العدو من الداخل وقهره بتحطيم معنوياته "[١].

وكان اسم القائد الالماني الشهير رومل يدب الفزع في نفوس قيادات وجنود الحلفاء، حيث كان اسم هذا القائد وشهرته وبراعته العسكرية قد جعلت منه اسطورة عسكرية كان لها تأثير شديد على قوات اعدائه.

اما عن خالد فيقول العقاد: " سبقه اسمه الى اطراف الدولتين فحارب اعداءه بهيبته قبل ان يحاربهم بسيفه، وكانت هذه اول مزية لاختياره واول فضل يحسب له في ميزانه ويضاف الى قيادته ويعمل عمله في نفوس اعدائه، كما يعمل عمله في نفوس اتباعه "[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٩-٢٠٠.
(٢) العقاد، عباس محمود، عبقرية خالد، (دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص١٠٥).

وعن افعال خالد في معركة نهر الدم (أليس) يقول العقاد: " فهـذه النقمة الخالدية جاءت على غير المألوف في حروب صدر الاسلام، ولكنها عجلت بختام عهد موبوء كان لا بد له من ختـام، فخلعت القلـوب وصكت الركب وزلزلت سلطان الطغاة في بلاد الفرس بل في بلاد االروم"[1].

وهكذا يبدو واضحا بعـد ان لقـي خـالد الفـرس فـي خمسـة عشـر وقعة ولم يهزم ولم يخطئ ولم يخفق قط في أي واحدة منها ان يكون اسمه على كل لسان وتطبق شهرته الآفاق، فاذا كان اسم رومل يـدب الفـزع فـي قلوب الاعداء، فقد كان اسم خـالد يلقـي الرعـب فـي هـذه القلـوب، وهنـاك الكثير من الحالات التـي دعـى فيهـا قـادة الاعـداء قواتهـم للاستسـلام امـام خالد، كما حصل في دومة الجندل وغيرها من المواقع.

لقد اتقن خالد فن الحرب النفسية قولا وعملا، فعندما بدأ حركتـه من اليمامة الى العراق لمواجهة جيوش الفـرس، بـدأ هـذه الحركـة بحـرب نفسية هائلة شنها على قياداتهم، فارسل لهم رسالته الشهيرة التي قال فيها: " اما بعد فاسلم تسلم، او اعتقد لنفسك وقومك الذمة، واقـرر بالجزيـة، والا فلا تلومن الا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة "[2].

ومن سطور هذه الرسـالة يلاحـظ القـارئ كيـف بـدأ خـالد حربـه النفسية على دولة الفرس لتحطيم معنويات قادتها، وبدلا مـن ان يقـول كمـا قال هتلر، يهمني ان اعرف كيـف يمكـن تحقيـق انهيـار العـدو قبـل اعـلان الحرب، بدا خالد استاذا في استخدام اساليب تحقيق هذا الانهيار.

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص١١١.
(2) الجنرال اكرم، مرجع سابق، ص٢٣٧.

## ثالثا: استراتيجية خالد العسكرية

عندما نتحدث عن القائد العسكري خالد بن الوليد، فاننا حقيقة نتحدث عن ظاهرة عسكرية فريدة، فهذا القائد عبقري بالفطرة واستراتيجي مبدع خلاق بالبديهة، جرأته في الحرب اسطورة، صفاته المتعددة لم ير حالة واحدة مماثلة لها في التاريخ، مبارزا محترفا، ومهاجما عنيفاً، فالمعركة بالنسبة له لم تكن مناورة ميدانية بارعة تحقق النصر على العدو، بل كانت عملا عنيفا يجب ان ينتهي بتدمير قوات العدو وابادتها ابادة كاملة.

وهو اول من انزل هزيمة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في أحد، وهو اول قائد مسلم يجتاز حدود الجزيرة ليفتح البلاد ويخضع اقوى الامبراطوريات، حتى اصبحت معاركه مرجعا للقيادات العسكرية في فن المناورة والقيادة. خاض منذ غزوة احدوحتى عزله واحدة واربعين معركة - عدى عن الغارات والاشتباكات الصغيرة - ولم يقهر في أي منها، ولذلك استحق لقب القائد الذي لا يقهر.

فاذا كان خالد رجل حرب بهذه الصورة، فان من حقنا ان نسأل، لماذا اندفع خالد الى المعارك بهذا الاقدام؟ وكأنما خلق لها او خلقت له، ان خالدا لم يحترف الحرب ليجمع من ورائها مالا، فهو وريث اغنى اغنياء عصره، ولا ليحوز مجدا فهو من عشيرة بني مخزوم صاحبة المجد والشرف الرفيع بين القبائل، ولا ليظهر شجاعته او بطولته، فهما لا يحتاجان الى اثبات او دليل، ولا ليوسع ملكاً فملكه معروف للجميع.

واذا كانت الاعمال تقاس بنتائجها، فان خوض خالد لغمار الحرب قد عكست غاياته الانسانية العليا التي كان في مقدمتها تحرير الانسان، واعادة الانسانية الضائعة لاهلها امتثالا لقوله تعالى: " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين " وبناء عليه فان الحروب التي دخلها خالد وخاض غمارها لم تكن الا لهدف انساني محض وهذا ما ادخله التاريخ من اوسع ابوابه[1].

ان المتتبع لحروب خالد، لا بد له وان يلمس بعض الثوابت في افعال هذا القائد وافكاره، فدائما كان يسعى الى تحطيم قوة العدو وابادتها ابادة كاملة من خلال عملية الاخلال بتوازنه المادي والمعنوي، مستخدما في ذلك مناورات ميدانية متعددة الاشكال تهدف جميعها الى تحقيق النصر او الوصول الى المكان الذي يمكنه من انتزاع النصر حتماً ".

لقد اعتمد خالد في تحقيق ذلك على المبادئ التالية:

١- **سرعة الحركة**: بنى خالد استراتيجيته على سرعة الحركة في الاماكن غير المتوقعة. وكان يعتقد بان سرعة الحركة التي ترافقها السرية الكاملة تحقق له المفاجأة ونجاح المناورة وضرب العدو في الزمان والمكان المناسبين للاخلال بتوازن قواته. فمثلا اعتمد على سرعة الحركة عندما تقدم من اليمامة الى العراق، وعندما تحرك عبر الصحراء الى بلاد الشام، وفي حروب العراق منع جيوش الفرس من التجمع وهزمها منفردة.

---

(1) بكر موسى، خالد بن الوليد المثل الاعلى للقيادة الظافرة، (الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢ ص٩٧).

ولم يكن خالد يسعى من وراء ذلك الى تحقيق سرعة التنفيذ فقط، بل كان يهدف اساسا الى عدم تمكين العدو من التقاط انفاسه او اعادة تنظيم قواته.

٢- المناورة المتعددة الاشكال: لقد كان خالد يبتدع فنون الحرب بعبقريته، في الوقت الذي يجمعها استراتيجيوا العصر الحاضر من قراءتهم للتاريخ ودراسة مبادئ الحرب وفنونها في الكليات العسكرية. ولهذا لم يعتمد خالد على اسلوب واحد في المناورة للوصول الى الهدف، بل ابتدع اساليب كثيرة لتحقيق ذلك، فقد نفذ مناورة تطويق بارعة ضد جيش الاندرزغر، اشتملت على هجوم جبهوي رافقته عملية التفاف واسعة النطاق لضرب قوات العدو من الخلف وفي اضعف نقاطها.

كما طبق مناورة الاختراق في معارك الانبار، وفي معركة المصيخ طبق خالد مناورة يصعب على الجيوش المعاصرة القيام بها، فقام بعملية هجوم ليلي من ثلاثة محاور واطبق على قوات العدو من ثلاث جهات، وهذه المناورة عادة ماتمنى بالفشل نتيجة لصعوبة السيطرة على القطاعات.

كما طبق خالد مثل هذه المناورة في منطقة (الثني) و (الزميل)، وابدع في استنباط التنظيم المناسب للقتال، ففي معركة اليرموك واجه الروم بنظام الكراديس، وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد الخضري: " فخرج رضي الله عنه في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك "[1].

---

(1) الشيخ محمد الخضري، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، (مطبعة الاستقامة، الطبعة التاسعة، القاهرة ١٩٦٤، ص٥٩).

٣- **عنف التنفيذ:** لقد تبنى خالد بن الوليد اسلوب العنف في تنفيذ مناوراته القتالية وعملياتــه العسكرية، وبذلك قرن سرعة الحركة بعنف التنفيذ، وقد ساعده هذا المزج على تحقيق بعض الميزات فـي ارض المعركة. فعندما تكون القدرة على المناورة مفيدة، تكون لسرعة التنفيذ الممزوج بالعنف دورها في تحقيق الهدف.

كما ان عنف التنفيذ قد مكنه من تحقيق ظروف قتالية افضل لقواته. ففي عمليات العراق وجد ان جنود الفرس عندما يهزمون في معركة، يعودون للقتال في معركة اخرى لاحقة، ومع الاخذ بعين الاعتبار حجم قوات خالد، فقد وجد ان العنف لا بد من الاخذ به كفلسفة تمليها الضرورات العسكرية. وقد ظهرت ميزة العنف عند خالد في اكثر من معركة، بلغت اوجها في معركة نهر الدم مع قوات الامبراطورية الفارسية. اضف الى ما سبق، ان عنف التنفيذ كان يشكل احد اعمدة الحرب النفسية التي كان خالد يشنها ضد قوات اعدائه، ولذلك فان استخدام العنف قد اكسبه ميزة عسكرية مضافة، حتى اصبحنا نلاحظ ان اسم خالد بن الوليد كان كافيا لالقاء الرعب في قلوب الاعداء.

٤- **العزل:** لقد ادخل خالد في استراتيجيته العسكرية مبدأ العزل، أي عزل مسرح العمليات قدر المستطاع عن المحيط الخارجي، وذلك لتأمين حرية المناورة وعدم تمكين العدو من تعزيز قواته، والقدرة على الاتصال بقواعده الرئيسية[١].

---

([١]) العسلي، بسام، خالد بن الوليد، (دار النقاش، الطبعة الثانية، بيروت١٩٨٠ص٤٨)

**٥- نوعية المقاتل:** كان خالد يولي نوعية المقاتلين اهمية خاصة في استراتيجيته، فنادرا ما دخل خالد المعركة وهو يتفوق على عدوه في عدد المقاتلين، ولذلك كان يعتبر هذا العنصر مادة القتال الاساسية الذي يرتكز عليه في استراتيجيته العسكرية. فرأيناه دائما يحاول الاعتماد على خيرة جنود المسلمين، وعلى وجه الخصوص من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. سواء كان ذلك في مسرح عمليات العراق او بلاد الشام فعلى سبيل المثال، عندما جاءت اوامر الخليفة بالحركة من العراق الى بلاد الشام حاول ان يبقي الصحابة مع قواته الذاهبة الى هناك، ولكن المثنى رفض الا ان تكون مناصفة. وفي معركة اليرموك عندما فاجأ جيش الروم قوات المسلمين طلب منه ابو عبيدة مواجهة الروم على عجل، فاختار خالد لهذه المهمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشاركته في تنفيذها.

وهكذا فان خالدا كان يرى ان أي استراتيجية عسكرية ناجحة يجب ان يكون مادتها الاساسية الانسان اولا؛ لان بناء الانسان المادي والمعنوي هما مادة الحرب والاستراتيجية في أي فلسفة عسكرية. ولذلك استثمر النوعية القتالية للمقاتل المسلم الى اقصى مدى ممكن، ونجح في ذلك نجاحا ملحوظا.

هذه هي اهم المبادئ التي اعتمدها خالد في استراتيجيته العسكرية. اما عن شكل هذه الاستراتيجية فان المتتبع لشكل الاستراتيجية التي طبقها في مسرح عمليات العراق وبلاد الشام يلاحظ بان استراتيجية التعاقب هي التي تبناها خالد في معاركه ضد دولتي الفرس والروم. فاذا كان ليدل هارت والدكتور (هربرت روزنسكي) والجنرال وايلي قد اشاروا

الى هذه الاستراتيجية في الزمن الحاضر فإن خالد بن الوليد قد تبنى هذا الشكل من الاستراتيجية قبل حوالي اربعة عشر قرنا.

لقد خاض خالد بن الوليد ثلاثة عشر معركة في مسرح عمليات العراق ضد الدولة الفارسية وهزم جيوشها في جميع هذه المعارك التي كانت تشكل سلسلة متتابعة من الخطوات والاعمال التي حددت السياق العام والمسار الكلي للحرب حتى تم الاطاحة بها في معركة القادسية. ويشبه اندفاع خالد بن الوليد داخل اراضي الامبراطورية الفارسية اندفاع الجيش الالماني في الاراضي الروسية مع فارق في النتائج التي تمخض عنها كلا الاندفاعين. ففي الوقت الذي استطاع فيه خالد ان ينجح في المحافظة على النمط العام والكلي للحرب بحيث حقق في النهاية الهدف المطلوب، فان اندفاع القوات الالمانية لم يحقق هذه النتيجة. وذلك نتيجة لاتخاذ سلاسل الاعمال في بعض الاحيان منحى مختلفا، فبعد ان كان الاندفاع الالماني يتألف من سلسلة من الخطوات المنفصلة وكان بوسع الاستراتيجي ان يرى كل خطوة بوضوح قبل وقت من وقوعها وتقييم كل منها في ضوء نتائجها المتوقعة، الا ان اتخاذ بعض الخطوات منحى آخر غير منسق مع النمط العام للحرب قد افشل الجيش الالماني من الوصول الى هدفه.

وكما هو الحال في مسرح عمليات العراق، فان خالد بن الوليد طبق نفس الشكل من الاستراتيحية في مسرح عمليات بلاد الشام ونجح في ذلك الى ابعد الحدود. وقد مزج خالد بن الوليد استراتيجية التعاقب باستراتيجية التراكم، حيث قام بعض العمليات المنفردة التي حقق فيها

بعض النجاحات الجزئية والتي لم تكن حاسمة ولكن تراكم نتائجها الايجابية ساعد على تحقيق هدف استراتيجية التعاقب.

لقد استخدم خالد استراتيجية التراكم في كل حروبه كرديف لاستراتيجية التعاقب ووجههما معا نحو نقطة حاسمة في البنية الكلية للعدو، كما انه وجه استراتيجيته التعاقبية من اجل دعم وموازرة الاستراتيجية التراكميةخدمة للمسار العام والمرغوب به للحرب.

وكمثال على ذلك فان خالد بن الوليد بعد ان اتم فتح الحيرة وانتزاعها من املاك الامبراطورية الفارسية وقبل ان يطاح بها في معركة القادسية الحاسمة، قام خالد بن الوليد ببعض العمليات المنفردة في الانبار وعين التمر ودومة الجندل، وبالرغم من ان نتائج هذه العمليات كان منفردا وليس له تأثير واضح في حينه الا ان تراكم نتائجها دعم استراتيجية التعاقب التي ظلت القوات الاسلامية تتبناها حتى حققت اهدافها.

## الخاتمة :

واخيرا فان الجهد الذي بذل في وضع هذا الكتاب لا يمثل سوى محاولة متواضعة لالقاء الضوء على بعض جوانب حضارية لامة كانت ولا زالت خير امة اخرجت للناس. محاولة نرجو ان تتبعها محاولات هادفة اخرى للوصول الى بلورة بعض جوانب الفكر الذي نقل الانسان الى رحاب عصر التنوير، وتجسيد حقائق وقيم هذا الفكر بنموذج عصري يرتكز الى القواعد الثابتة في جذوره ويستمر صعودا الى نموذج مثالي يواكب المفاهيم ويلائم متغيرات العصر.

ان الفكر الاستراتيجي في العصر الاسلامي كان مضمونا بدون عنوان ولذلك اختفت كلمة " استراتيجية " من مؤلفات الباحثين الاسلاميين الاوائل، ومع ذلك فان غياب العنوان لا يلغي المضمون او ينفي وجوده من واقع العمل العسكري الاسلامي، حتى وان جاء هذا العمل على صور وتعابير مختلفة، فالعبرة في الجوهر الذي حاولنا قدر الامكان ان نضفي عليه طابع العصر دون تغيير او مساس بحقيقة الوقائع والاحداث، فقط محاولة واجتهاد لملائمة الوقائع بما ينطبق عليها في الحاضر من رؤى وملامح وعناصر المفهوم الاستراتيجي المعاصر.

ان محاولة قراءة التاريخ واستنطاقه تظل اساس عملية التوصيف الحقيقي للاحداث، والمحور الذي يؤشر الوقائع ويحددها ويضمن خصوصية مميزة لها.وقد حاولنا جاهدين رسم معالم الصورة التي كانت وربما لا زالت غير مكتملة الوضوح في انتظار الباحثين والرواد من ابناء

هذه الامة للسعي الى اظهار الحقيقة بصورتها الزاهية وحفرها في اذهان وعقول الاجيال الحاضرة واللاحقة.

ان الامة التي طرقت جيوشها ابواب فرنسا والصين وشمال افريقيا خلال فترة وجيزة من عمر الزمن، هذه الامة التي تكالب عليها الابناء قبل الاعداء تستحق من المخلصين المؤمنين برسالتها ما هو اكثر من البحث والتنقيب والدراسة والتحليل. فهي صانعة تاريخ وحاملة رسالة التنوير للبشرية جمعاء، ولن تطوى صفحتها حتى يوم الدين.

وما نراه اليوم ليس الا كالطفح الذي يظهر على الجلد سرعان ما ينتهي وتزول آثاره ويبقى الجوهر الكامن في النفوس والصدور. فالجرح النازف من جسد هذه الامة، لن يأتي على روحها، بل سيطهرها من كل ما علق بها من آثار. فامة هذه كينونتها لن يطوي التاريخ صفحتها، فقد مرت كل قبائل الغزو الهمجية على اديمها ولكنها ذهبت وبقيت الامة بانسانها وحضارتها ورسالتها، وسطرت امجادا لا ترق اليها ولن تطاولها كل شعوب الارض.

فهذه الارض كانت محط الانبياء الخالدين، وهي عشق الحياة لاول كائنات البشرية التي عمرت الارض، ولن يكون بمقدور احد العمل على تدجينها او تغيير ملامح وجهها "الخير فيّ وفي امتي الى يوم القيامة".

# المراجـــع


١- القرآن الكريم.

٢- الحديث الشريف.

٣- توقة، حسين عمر، ابعاد استراتيجية.

٤- الجنرال.أ. اكـرم، سيف اللـه خـالد بـن الوليـد (ترجمـة العميـد الركـن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٨٢).

٥- د. الهيثمـي، محمـد فـاروق، فـي الاسـتراتيجية الاسـرائيلية (منظمـة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، بيروت١٩٦٨).

٦- اسعد، بهاء الدين محمد، الخلفات، جمال يوسف، العسـكرية الاسـلامية وقادتها العظماء، (مكتبة المنار،الطبعة الاولى، الزرقاء،١٩٨١).

٧- العقـاد، عبـاس محمـود، العبقريـات الاسـلامية، (دار الادب، الطبعـة الاولى، بيروت ١٩٦٦).

٨- العقاد، عباس محمود، عبقرية خالد.

٩- العسلي، بسام، خالد بـن الوليـد، (دار النفـاس، الطبعـة الثالثـة، بـيروت ١٩٨٠).

١٠- الخضري، الشيخ محمد، اتمـام الوفـاء فـي مسيرة الخلفـاء، (مطبعـة الاستقامة، الطبعة التاسعة، القاهرة ١٩٦٤.

١١- الجبوري، نهاد عباس، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسـلمين، (دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٧).

١٢- بصبوص، احمد عبد ربه، فن القيادة في الاسلام، (مكتبة المنار، الطبعة الثانية، الزرقاء ١٩٨٩).

١٣- ج. ل. ليدل هارت. الاستراتيجية وتاريخها في العالم، (ترجمة الهيثم الايوبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨).

١٤- جي. سي. وايلي، الاستراتيجية العسكرية، السوق العسكري، (ترجمة سليم شاكر الامامي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الاولى، بغداد ١٩٨٧)

١٥- خالد، خالد محمد، رجال حول الرسول، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت).

١٦- صالح، قاسم محمد، العسكرية الاسلامية في العصر الراشدي، (مديرية المطابع العسكرية، الطبعة الاولى، عمان، ١٩٨٩).

١٧- صالح، حسين عبد القادر، المظهر الجغرافي لقوة الدولة، (جمعية عمال المطابع التعاونية، الطبعة الاولى، عمان، ١٩٧٦).

١٨- عزمي، محمود، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧٩).

١٩- كعوش، يوسف، من اعلام تاريخنا العسكري، (مطبعة القوات المسلحة الاردنية، الطبعة الثانية، عمان، ١٩٧٢).

٢٠- موسى، بكر، خالد بن الوليد المثل للقيادات الظافرة، ( الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢).

٢١- المراشدة، علي، (اليرموك الاستراتيجي والحسم)، منشورات وزارة الثقافة- عمان ١٩٩٧.

٢٢- نشرة الاستراتيجية- كلية القيادة والأركان الأردنية.

